• العدد ـ ٢٦ ـ السنة الثالثة ـ جمادى الثاني ١٤٠٥ هـ . مارس ١٩٨٥ م.



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين





الدوامة!



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

دوامة الحلول السلمية

أخيراً، تم الوصول الى اتفاق فلسطيني ـ أردني، وإن شئنا دقة أكثر، اتفاق بين ياسر عرفات والملك حسين.

ما أنيع حتى الآن من تفاصيل تكفي لأن ندرك الاتجاه العام للاتفاق وحدود التنازلات التي قدمها الجانب الفلسطيني، وبالتالي الملامح الرئيسية للتوجه السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية في هذه المرحلة.

المباحثات بين الحكومة الاردنية وقيادة منظمة التحرير استمرت لفترة ليست بالقصيرة، وكان الدافع الرئيسي الذي أوصل عرفات الى أبواب القصر الاردني هو الخروج من بيروت وضعف المواقع السياسية لمنظمة التحرير في منطقة «دول الطوق» خاصة بعد تفاقم الخلاف مع سوريا الأسد، كان عرفات حتى ديسمبر ١٩٨٣ ـ خروجه من طرابلس ـ يريد من علاقته بالاردن أن تسمح له بالتواجد قريباً من الارض المحتلة ومن الكثافة الفلسطينية في المهجر الاردني حتى ذلك الوقت كان عرفات يدرك أن التقارب مع الاردن سيكون أكثر معاركه السياسية حساسية وخطراً، فالملك لن يقبل بنشاط منظمة التحرير في عمان ثانية لأن هناك عشقاً دفيناً يسكنه لعيون عرفات ورجاله، بل هو يريد حقيقة أن يوصل عرفات الى مرحلة تسليمه كل الاوراق ، بل ومساعدته على حمل الورقة الفلسطينية ـ وحده ـ الى قاعة المفاوضات، وفي وقت لاحق سيجد الوسيلة الامثل للتخلص من قيادة منظمة التحرير الى الأبد.

كان عرفات يفهم ما سبق ولكن مراهنته في أن يظل مستقلا وبعيداً عن أن يجبر للتسليم للملك حسين كانت تعتمد على نقطتين أساسيتين:

الأولى: أن الدعم العربي ـ بشكل خاص السعودي ـ سيعطيه دائماً تغطية كافية تقف في مواجهة الضغط الاردني.

الثانية: أن الوضع الدولي لم يكن يحمل أي بوادر جادة تجاه عملية السلام ولم

يكن هناك في الأفق ما يشير الى رغبة اسرائيلية ـ أميريكية في مباحثات شاملة مع الاردن خاصة وحكومة الليكود كانت ما زالت في الحكم.

على أن الامور في النصف الثاني من ١٩٨٣ كانت تزداد سوءاً، فقد استفحل الانشقاق داخل فتح وأصبح المطلب السوري في ازاحة منظمة التحرير من لبنان مطلبا لا تراجع فيه، وبدأ عرفات يخسر داخل ساحته، الساحة الفلسطينية، وكان لاستمرار حرب الخليج أثراً كبيراً في أن يفقد عرفات الغطاء السعودي في صراعه مع سوريا نظراً للحاجة السعودية القومية للدور السوري في ضبط العلاقة مع طهران. وخسر عرفات معركة طرابلس التي أوضحت له اي حد قد اصبح وحيدا.

استؤنفت المباحثات ثانية مع الاردن، وأمام ضغوط قوية من داخل قيادة فتح، ورغبة حقيقية داخل عرفات في ألا يسلم كل أوراقه للملك، تعثرت المفاوضات ولم تصل لنتائج ترضى صاحب الجلالة، فقد كان يريد كل شيء.. كل شيء.

وطوال ١٩٨٤ كان عرفات يحاول جاهداً أن يعيد قسطا كبيراً من الثقل العربي الى كفته، فكثف اتصالاته بالقاهرة التي كان ـ ولا يزال ـ يامل بان تساهم في حمايته من ان يلتهم، وبذل جهداً هائلا باتجاه طهران محاولا أن يصنع شيئا في مسيرة حرب الخليج في نفس الوقت الذي كان يرتب فيه عملية اخراج المجلس الوطني الفلسطيني من جديد الى الحياة.

ولكن النتائج لم تكن جميعها لصالحه، فحرب الخليج لم تقف، ومصر عادت نصف عودة للساحة العربية، نصف عودة كان الاردن أحد اهم دافعي ثمنها بجانب عرفات، والسعودية لم تتحرر من محور دمشق، بل أن دولا هامة كانت تقف مع عرفات بقوة كالجزائر لم تعد تستطيع الحفاظ على قوة هذه الموقف، والمجلس الوطني لم يكن مجلسا للجميع.

وفي أول جلسات المجلس الوطني في عمان ـ كان لا بد من عمان لأن غيرها لم يتوفر ـ حدد الملك حسين موقفه بوضوح واصبح عرفات وجها لوجه أمام اللحظة التي كان يتفاداها منذ وقت طويل، ان عليه الأن أن ياخذ قراره ويحدد موقفه النهائي.

ولأن خيار الكفاح المسلح أصبح خارج التصور، سواء لصعوبة الأوضاع أو لأن قيادة منظمة التحرير قد اتخذت قراراً داعيا باستبعاده، ولا نقصد باستبعاده، اسقاط البندقية نهائيا فذلك غير منطقي ولا حكيم لأن بقائها

مرفوعة هو اخر أوراق عرفات السياسية، ولكن ما نقصده أن يكون الكفاح المسلح هو الخيار الرئيسي والشامل من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ما دام كل المطروح ـ سياسياً ـ لا يصل الى تحرير نصف الضفة الغربية، ولأن الرهان الرئيسي هو الرهان على المعادلة الدولية، كان لا بد لعرفات أن يوقع اتفاقا مع الملك، لأن الوضع العربي والدولي لا يسمحان له الان باكثر من الحركة في هذه الزاوية المحددة.

في اتفاق عمان، هناك ثلاث نقاط رئيسية:

١ ـ الوفدان الفلسطيني والاردني سيكونان ضمن وفد واحد في أي محادثات للسلام قادمة وبالتالي سقط المطلب الفلسطيني بوفد منفصل له.

٢ ـ سقط المطلب الفلسطيني بدولة مستقلة كذلك وتم الاتفاق على فيدرالية مع الاردن.

٣ ـ بدون اشارة واضحة الى القرار سيء الذكر ٢٤٢، وافق الطرفان على اعتبار كل قرارات الأمم المتحدة بشان الصراع العربي ـ الاسرائيلي، أساساً للمفاوضات القادمة.

ومباشرة بعد توقيع الاتفاق ارتفعت بعض الاصوات في قيادة فتح معارضة لبنوده وساد الوجوم على الساحة الفلسطينية في الوطن المحتل، ما عدا بعض الاصوات التابعة أساسا لحكومة عمان والتي ارتفعت مؤيدة للاتفاق وبدأ السعي لاقناع العرب الاقربين وخاصة السعودية والجزائر.

هل كان عرفات جاداً تماما في توقيعه، أم انه يتصور أن الامريكان والاسرائيليين لن يأتوا الى طاولة المفاوضات وليس لديهم أي نية حقيقية تجاه السلام في المنطقة، وهو بالتالي ـ حتى بعد توقيعه ـ غير مضطر بأن يواجه تبعات التنازل؟ أم أنه فعلا قد اختار المغامرة الاخيرة في حياته السياسية وليكن ما يكون؟

أحداث الشهور القليلة القادمة ستقدم بلا شكل الاجابة على هذا السؤال.

ولكن ما نود أن نوضحه أن منظمة التحرير الفلسطينية وقيادة عرفات، التي تصور البعض بعد المجلس الوطني الاخير أنها برزت مرة أخرى قوية موحدة، يبدو الأن أنها تعود سريعا الى النفق المظلم للشرق الاوسط وعلى من يهمه الأمر أن يحاول جاهداً منذ اليوم الحفاظ على الدم الفلسطيني من أن يصبح ورقة خاسرة على طاولة مفاوضات تسليم فلسطين.

الطليعة الاسلامية

الحرب والسلام في الاسلام

المعلم الشهيد سيد قطب

ان الاسلام ينفي منذ الخطوة الاولى معظم الاسباب التي تثير في الارض الحروب، و يستبعد الواناً من الحرب لايقر بواعثها واهدافها.

يستبعد الحروب التي تثيرها القومية العنصرية، فلا مكان فيه للقومية العنصرية، وهو يقرر ان الناس كلهم من اصل واحد، وانهم خلقوا كلهم من نفس واحدة، وانهم جعلوا شعوباً وقبائل ليتعارفوا.

يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع: حروب الاستعمار والاستغلال، والبحث عن الاسواق والخامات، واسترقاق المرافق والرجال. فلا مكان فيه لهذه الحروب، وهو يعد البشرية كلها وحدة متعاونة، بل يعد الحياة كلها اسرة قريبة النسب، بل يعد الكون كله وحدة غير متنازعة الاهداف. وهو يأمر بالتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان، وهو يحرم السلب والنهب والغصب، وهو يعد البشرية كلها بالعدل المطلق، لافارق بين جنس أو لون أو عقيدة في الاستمتاع الكامل بعدل الله في ظل شريعة الله، في النظام الذي قرره الله.

كما يستبعد الحروب التي يثيرها حب الأمجاد الزائفة للملوك والابطال. أو حب المغانم الشخصية والاسلاب. جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى. فمن في سبيل الله؟ قال — صلى الله عليه وسلم: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

هنا تتبين تلك الحرب الوحيدة المشروعة التي يقرها الاسلام: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» فماذا هي كلمة الله التي يقاتل في سبيلها فيكون في سبيل الله؟

ان كلمة الله هي التعبير عن ارادته، وارادته الظاهرة لنا نحن البشر، هي التي يقررها هو — سبحانه وتعالى — ويحددها كلامه: «حتى لا تكون فتنة، و يكون الدين كله لله».. ولايكون الدين كله لله، الا عند افراد الله سبحانه بالالوهية والربوبية والعبادة والطاعة والدينونة. فلا يعبد الناس الا إلهاً واحداً، ولايدينون في نظام حياتهم ومعاشهم الا لما يشرعه و يأذن به هذا الاله الواحد،

ولايستمدون مناهج حياتهم الدنيوية — كالاخروية سواء — الا من منهج الله القويم. وبهذا وحده يكون الدين كله لله — بمعنى الدينونة لله وحده في كل شأن من شؤون الحياة.. و بذلك يكون في الارض رب واحد، لاأرباب متفرقة. إذ كل من يدعي لنفسه أنه صاحب الحق في التشريع للناس من عند نفسه، إنما يدعى ولولم يذكر ذلك علانية ونصاً أنه في هذه الارض اله مع الله أو من دون الله فلا يكون هناك اله واحد، ولايكون الدين كله لله..

فهذه هي الحرب التي يقرها الاسلام. لتقرير ألوهية الله في الارض ونفي غيرها من الالوهيات المدعاة، ودفع الذين يدعون الالوهية — سواء بالقول او بالفعل — واثبات سلطان الله في الارض، حتى يكون الدين كله لله، وحتى لايتخذ الناس بعضهم بعضاً ارباباً من دون الله!

ولقد جاء الاسلام الى هذه الانسانية كلها، فمن تحقيق كلمة الله أن يصل هذا الخير الذي جاء الاسلام به الى الناس جميعاً، وألا يحول بينهم و بينه حائل. فمن وقف في طريق هذا الخير أن يصل الى الناس كافة، وحال بينهم و بينه بالقوة، فهو اذن معتد على كلمة الله، وازالته من طريق الدعوة هي اذن تحقيق لكلمة الله. لا لفرض الاسلام فرضاً على الناس، ولكن لمنحهم حرية المعرفة وخيرة الهداية. فالاسلام لا يكره أحداً على اعتناقه: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» (البقرة ٢٥٦) ولكنه يكره الذين يقفون بالقوة في طريقه، و يفتنون الناس عنه. أو يمنعونهم ابتداء من تبين الرشد من الغي، عن طريق السيطرة عليهم وحرمانهم حق الاختيار..

وهذه الحرب التي يقرها الاسلام ويحرض عليها تحريضاً، و يدعو رسوله أن يحرض عليها المؤمنين ويحب الذين يخوضونها، و يعدهم أعلى درجات الرضوان: «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال. إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا، بأنهم قوم لا يفقهون» (الانفال ٦٥) «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله. ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (التوبة ٢٩).. «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» (الصف ٤).

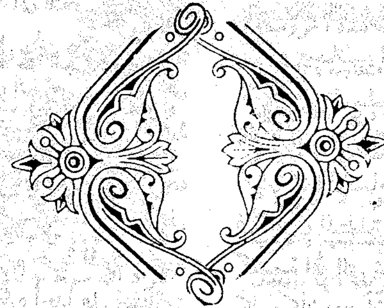
ولقد جاء الاسلام ليحقق العدالة في الارض قاطبة، و يقيم القسط بين البشر عامة. العدالة بكل أنواعها: العدالة الاجتماعية، والعدالة القانونية، والعدالة الدولية، فمن بغى وظلم وجانب العدل فقد خالف عن كلمة الله، وعلى المسلمين أن يقاتلوا لاعلاء كلمة الله، وأن يردوا الشاردين عنها اليها حتى لو امتشقوا الحسام في وجوه المسلمين الباغين. فالعدل المطلق، ورد البغي والعدوان، هو كلمة الله التي يجب أن تعلو في كل حال وفي كل مكان: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. فان بغت إحداهما على الاخرى، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر

الله، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا. إن الله يحب المقسطين» (الحجرات ٩).

وإذا كان الاسلام يدعو المسلمين أن يقاتلوا المسلمين البغاة لرد البغي وتحقيق القسط، فهو يدعوهم إلى دفع الظلم كافة.. إلى دفع الظلم عن أنفسهم وإلى دفعه عن كل مظلوم لا يملك له دفعاً، على ألا يعتدوا هم ولا يبغوا في أثناء رد العدوان: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين» (البقرة ١٩٠) «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون: ربَّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً، واجعل لنا من لدنك نصيراً» (النساء ٧٥).

لهذه الاغراض العليا وحدها يحمل الاسلام السيف، و يعظم الاسلام الجهاد، و يعد المجاهدين أعلى درجات الشهادة والجزاء: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون. وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن» (التوبة ١١١).. «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين» (آل عمران ١٥٩ـــ ١٧١).

ولهذه الاغراض العليا وحدها يدعوهم أن يعدوا العدة، ويهيئوا القوة، وألا يهنوا و يدعوا إلى السلم الرخيصة: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (الانفال ٦)..



حوار مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي

فضيلة الشيخ محمد الغزالي السلام عليكم ورحمة الله و بركاته، يشرف الطليعة الاسلامية ساحة كل المسلمين أن تلتقي بكم مسترشدة بخطاكم في طريق كفاحها، وانطلاقاً من مكانتكم ومنزلتكم في ميدان الدعوة الاسلامية عبر جهادكم الطويل ضد الهجمة الغربية والتغريبية ومن أجل نهوض الامة الاسلامية، وقضيتها الاولى فلسطين ومواقفكم المشرفة واضحة وجلية في هذا المجال ولكن الله تعالى يقول: «فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» وخاصة في هذه الفترة الحرجة التي تمر بها أمتنا.

سماحة الشيخ محمد الغزالي يكثر في هذه الأيام عن الصحوة الاسلامية ومظاهرها المتباينة سلباً كانت أم ايجاباً، وذلك بعد فترة طويلة من التخلف والجهود عاشتها هذه الأمة إن صح التعبير، فما هو دور علماء الأمة المجاهدين في ترشيد هذه الصحوة، وبالتالي قيادة الأمة نحو وجه الله؟

الصحوة الاسلامية حقيقة قائمة في كثير من الاقطار وقد لاحظتها في شمال أفريقيا وفي وادي النيل، وفي باكستان وأندونيسيا وسيرالانكا في شبه الجزيرة الهندية عموماً عندما كنت أقوم بعمل ما هناك، الأمة العربية استطيع أن أقول أن فيها صحوة اسلامية أيضاً



فضيلة الشيخ الغزالي

ولكنني ضائق بالاوضاع التي تكتنف هذه الصحوة، والسبب أن العرب يخلطون خلطاً رديئاً بين اليقظة الواجبة عليهم، و بين التبعية المطلوبة منهم لدينهم والولاء للاسلام، و بين الفكرة الجنسية التي سيطرت عليهم أخيراً، وأنا لست مع القومية العربية، ولكني مع الأخوة الاسلامية، ولذلك الصحوة التي أنشدها أريد ولاؤها الأول والاخير للاسلام، لا لجنس من الاجناس هذه واحدة، انما تخلفنا فعلا والتعبير صحيح، وتجمدت أوضاعنا والتعبير في السؤال صحيح، واكتنفت تاريخنا القريب شؤون مزعجة جعلتنا نسيء التصور وتصوير حقائق الاسلام، ولذلك اصابنا بلاء كثير، أي أننا تأخرنا لأن عللاً داخلية عملت في كياننا

أنهكته وأرهقته وأعجزته عن السير، ومثل هذه العلل لا بد أن تزول لكي تتم الصحوة، فالعلاج يجب أن يكون داخلياً أولا، يتصف بالنفس الاسلامية، وبالمجتمع الاسلامي، لا بد من تشريح هذه الافات التي نالت منها، ومكنت أعداءنا من احتلال عقولنا بعد ذلك ثقافياً، والعلماء مطلوب منهم أن يضعوا أصابعهم على أماكن الداء حتى يستطيعوا أن يعالجوا أمتهم المقبلة، وهناك من غير شك مسائل تتصل بالعقيدة ومسائل تتصل بالاخلاق ومسائل تتصل بتوزيع المال ووضع المرأة وأيضاً بالاستبداد السياسي وأمور كثيرة، وهناك أمور كثيرة ابتليت بها الامة الاسلامية لو بليت أمة بواحدة من هذه البلايا لانهكتها فكيف.. بمجموع هذه البلايا تتربص بأمة لكي توردها الموارد الرديئة علينا أن نداوي أنفسنا قبل أن نرمي الاخرين بالداء.

الساحة الاسلامية الواسعة تشهد ومن بدايات هذا القرن نعرات تجزيئية مدمرة سواء قومية أو اقليمية أومذهبية ولئن كان واضحاً الرد على أصحاب الاطروحات القومية والاقليمية تبقى قضية المذهبية وخاصة في هذه الايام سنة وشيعة وغيرها يكتنفها الغموض ولعلمنا بأن سماحتكم شاركتم الامام البنا (رحمه الله) في لجنة التقريب، نريد أن نعرف رأيكم في هذه القضية الهامة؟

نعم أنا كنت من المعنيين بالتقريب بين المذاهب الاسلامية وكان لي عمل دؤوب ومتصل في دار التقريب في القاهرة وصادقت الشيخ محمد تقي القمي كما صادقت الشيخ محمد جواد مغنية (رحمه الله) ولي أصدقاء من العلماء والأكابر من علماء الشيعة وأنا أريد فعلا أن تذهب الجفوة أو الشقاق المر الذي شاع بين المسلمين خصوصاً في أيام أضمحلالهم الفعلي وإذا كان المسيحيون قد تقاربت كنائسهم وأصبح هناك اتصال وثيق ومؤتمرات رتيبة بين البروتستانت والارثوذكس والكاثوليك بل اذا كانت المسيحية قد اصطلحت مع اليهودية ضد الاسلام وضد أمال ابنائه فليس من العقل أن تبقى الخلافات بين المذاهب الاسلامية سواء كانت سنية أو شيعة أمثال الحنابلة والشافعية والمالكية وحنابلة وجعفرية وزيدية وهذين المذهبين يمكن أن نتفاهم معهما ولكن ان هناك فرق انسلخت تقريباً عن الاسلام مثل النصيرية والاسماعيلية وغيرها من الخير ما دام أعداؤنا قد تجمعوا ضدنا أن نوحد صفوفنا وألا نبقى متفرقين ولذلك وددت لو أن يقع دائماً تقريب بالمناهج العلمية، وأن الأمة مصابة بالجهل، فنحن ونجهل بعضنا بعضاً، وربما كانت هناك أفكار رديئة واشاعات تنتشر هنا وهناك وأشباح تظهر بالظلام، تكون دائماً مصاحبة للجهل، ولذلك أحب أن تعرف الحقائق من جميع الفرق الاسلامية وأن تقاس

مسافة القرب وأن يعرف ما يمكن التجاوزعنه، ولا أكتفي بهذا، بل أنا وضعت في كتابي (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) عدة نقاط لكي أجمع بين المسلمين الشيعة والسنة على السواء.

سماحة الشيخ محمد الغزالي موقفكم من قضية الاسلام الاولى والمركزية في هذه المرحلة قضية فلسطين غنى عن القول، وكما تعلمون حفظكم الله أن هجمة من مشاريع التسوية تهاطل على المنطقة بقصد ايجاد حل سلمي للقضية الفلسطينية، ما رأيكم فيما يحصل من اتفاقيات مع العدو، وما هو الاسلوب الانجع في حل القضية الفلسطينية؟

المغفور له الحاج أمين الحسيني والزعيم الاسلامي للثورة الفلسطينية، ثم أخذت الثورة الفلسطينية طابعاً عربياً وأنا ضد هذا الطابع وأخذت طابعاً علانياً وأنا ضد هذا الطابع، أنا رجل أؤمن بالاسلام وأجمع الناس عليه، وأعلم أن العرب أذا تركوا الاسلام هانوا على الله وعلى الناس ولن تحل لهم قضية ولن ينجح لهم مسعى، ولن يصلوا الى تسوية سلمية ولا عسكرية. العرب لا يحميهم ولا ينصرهم ولا يشرفهم ألا هذا الدين، فان أخلصوا له وتمسكوا به نجوا وألا هلكوا هذا ما أعرفه، فأنا قضية فلسطين بيني وبينها شيء من الوحشة لأني أغضب للعلمانية والدعوة اليها والعروبة البعيدة عن الاسلام واعتبرها شيئاً من الردة عن دين الله وأهل فلسطين مسلمين وقد عشت معهم في غزة سنين وعرفتهم جيداً، فلماذا نزور عليهم ما يؤمنون به أنهم مسلمون ويحبون أن يكون جهادكم اسلامياً، ولذلك كل ما عدا هذا أنظر اليه بريبة، قد أسكت وقد أشجع بكلمة من باب الحرج أسعفه حتى يذهب عنه الحرج ثم أخاطب فيه عقله وأوقظ ضميره ولكن الوضع الان، يحتاج الى مصارحة، علينا أن نعتمد على الاسلام، لماذا يكون اعتماد هؤلاء على اليهودية صريحاً وعلنياً بينما اعتماد العرب على الاسلام مكذوباً ومزوراً لماذا!

الاسلام يجب أن يأخذ دوره في الدفاع اذا كانت اليهودية تهاجم، واذا قبل الدين في المعركة مهاجماً وهو اليهودية فلماذا لا يقبل الدين مدافعاً وهو الاسلام، فلو أن قضية فلسطين بقيت على هذا النحو أي أن يدخل الاسلام في المعركة لنجو.

اعتبرت قضية عربية وكانت النتيجة العرب أنفسهم هم الذين ليكون الان القضية الفلسطينية ويمنعون أن تندمل جراحاتهم ماذا صنع البعث العربي، سوريا قاتلت الفلسطينيين في تل الزعتر عندما كادوا أن ينتصروا على الموارنة، ثم خذلتهم في لبنان فلم تعطهم شيئاً، ثم لما رغبوا الانسحاب من طرابلس كانت لهم بالمرصاد، كانت تريد ابادتهم، فأي عروبة هذه! لا بد أن نعود للاسلام لنحل مشاكلنا النفسية والاجتماعية، وقد وضح الازهر موقف الاسلام، بأنه من سلم شبرا من أرض فلسطين لاعداء الله لايجوز مطلقاً.

فضيلة الشيخ محمد الغزالي ماذا يمكن أن يكون عليه الموقف الاسلامي في هذه المرحلة عن القوى العلمانية التي تدعي مقاومة الكيان الصهيوني؟

الجهاد الفلسطيني الان لا يعتمد على الاسلام، تنقصها كلها وأنا صريح في ذلك، فنحن نؤيدهم من باب افراغ الذمة لا نتركهم ولكن نرشد أصحابه الى خطئهم حتى يعودوا الى الصواب، ومع خطئهم فنحن نحنوعليهم وندعو لهم، ونحرض ضد أعدائهم ونقاتل اليهود لأخر رمق لكن باسم الاسلام وعلى اخواننا أعضاء الهيئة

الفلسطينية أنهم يتركوا جورج حبش ونايف حواتمة ومن بعض القلة.

فضيلة الشيخ ما هو الدور العملي الذي يمكن أن تقوم به الجماعات الاسلامية والعلماء المسلمين في كل مكان في حال اعلان أبناء فلسطين استئنافهم للجهاد الاسلامي ضد اسرائيل اسماً ومضموناً؟

في هذه الحالة يجب على كل مسلم أن يقسم قوته وقوت عياله نصفين، نصف لهم والاخر للمجاهدين، وأن يبذل كل ما يستطيع لامدادهم بالاسلحة والادوية والذخائر، عندما تكون المعركة اسلامية، فان المسلم لا يضن بشيء، وهذا هو طريق النجاة، بهذه الحال يجب على المسلمين أن يدافعوا عن المسجد الاقصى وعن أرض الاسلام.

فضيلة الشيخ ما دمنا نتحدث حول القضية الفلسطينية هناك مشكلة يطرحها الواقع وهي وجود أقلية مسيحية، كيف يمكن التعامل معها خلال الجهاد لتحرير فلسطين، هل يمكن أن تشارك في الجهاد؟

فلتشارك يا أخي ولتدافع عن أرضها، أو تبق كما هي ونحن نحرر الارض عنها، لأننا نحن ٩٣٪ في مصر مسلمين والمسيحيون في العالم الاسلامي والعربي لا يزيدون عن ٥٪ هل يعني ذلك أن نترك ديننا من أجلهم و هل يطلبون منا هذا، ان كانوا يطلبون فنحن نرفض وان ربطوا جهادهم بأن نترك ديننا لن نتركه و اذا لم يريدوا الجهاد فسنجاهد نحن فاذا لم يستطع أكثر من ٩٠٪ من العرب وهم مسلمون أن يحرروا أرضهم فهم لا يستحقون الحياة، الموت أفضل، و بطن الارض خير من ظهرها.

فضيلة الشيخ محمد الغزالي فلنعد الى الصحوة الاسلامية في هذه المرحلة، فما هو دور المدارس الاسلامية الفكرية والازهر الشريف في هذه الصحوة.. وما هو المنتظر منها في المرحلة المقبلة.. وكيف يمكن تطوير دورها لتؤدي ما عليها من واجب اسلامي؟

الصحوة الاسلامية لن تكون بعيدة عن هذه المدارس بل ان قيادات كثيرة للصحوة الاسلامية من هذه المدارس تحت ضغوط دولية ومحلية مجمدة أو ضعيفة النشاط ،فان هذا علة عابرة وجمهور الازهريين ومدرسة الزيتونة والقرويين، أو المسلمين في الحرمين. ظواهر الحالة الأن أنهم ناموا عن الاسلام لكن في الحقيقة كيانهم سليم وأعتقد أن الفرصة ستتاح لهم مستقبلا حتى يؤدوا دورهم الكبير في خدمة قضايا الاسلام كلها، والنهضة بها، تقول أن المجاهدين ينتظرون الاوامر من غيرهم، فلن يكونوا مجاهدين لكن الانسان، لكل جواد كبوة، وقد تنتاب الانسان فترات من الخمول، ولكنها في النفس الاسلامية ليست دائمة بل موقوته واعتقادي أنها أوشكت مع الحاح الازمات وكثرة البلاء النازل بالأمة الاسلامية جعل عدد كبير من الهيئات وعدد كبير من هذه المدارس وأفرادها يفكرون بجد في أن يخدموا دينهم و يؤدوا واجبهم وأن يكونوا عند حسن الظن.

فضيلة الشيخ في هذه المرحلة توجد محاولات من بعض الانظمة لتبني الشريعة الاسلامية وذلك من خلال تطبيق بعض الاحكام الاسلامية كيف يمكن أن تعتبر هذه الانظمة وكيف يمكن لنا في داخل الحركة الاسلامية أن نتعامل مع هذه الانظمة؟

أما تطبيق شرائع الحدود والقصاص فهذا من الدين بيقين، ولا يستطيع أحد أن يهون منها، ولا أن يخاصم من يفعلون ذلك ومن خاصمهم لأنهم نفذوا أحكام الله فليس بمسلم انما دائماً هذه الشرائع

محدودة أو هي سطور من كتاب الفقه الكبير، فالذي ينفذ صفحة من كتاب، يكلف بتنفيذ باقي الصفحات أما ترك بقية الصفحات دون تنفيذ فهذا لا يقبل ولا يقره عاقل، فنحن لا نقول لمن نفذ صفحة، اتركها، ولكن نقول له نفذ باقي الصفحات كما يقول الشاعر العربي:

لا تقطع ذنب الافعى وتتركها

إن كنت شهماً فاتبع رأسها الزمن

فاذا كانوا نفذوا بعض الاحكام في تحريم الخمر وتحريم الزنا فهذا حسن، يبقى بعد ذلك أن تنفذ باقي الاحكام الاسلامية فيما يتصل بالشورى والعدالة الاجتماعية وتكريم المرأة وحمايتها من موجات الاباحة والحضارة المفسدة والعناية بالقضايا الاسلامية والولاء للاسلام.

فضيلة الشيخ محمد الغزالي المسلمون في كل مكان يواجهون الاضطهاد والذل من هذه القوى الكبرى التي تدخل في وفاق دولي لانهاء حالة اليقظة الاسلامية، كيف يمكن أن نتبنى هذا المشروع الاسلامي الكبير للتصدي لكل العداء الاسلام؟

هناك قضية افغانستان وهناك قضية المسلمين في الفلبين وهناك قضايا المظلومين الكثيرين في أرض الاسلام هؤلاء المظلومين لماذا نسكت عما نزل بهم من ظلم، لماذا تتجاهل الأمم، ان قضية فلسطين مهمة بيقين، لأنها في وسط العالم العربي، وهو قلب الأمة الاسلامية، ودماغها، ولأن المقدسات تعنينا ولن نرضى أبداً أن تكون هذه المقدسات بأيدي أعداء الاسلام، لكن لما نظر ابن عمر الى الكعبة قال (ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك، وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، كرامة الانسان المسلم أقدس من الكعبة، حقوقه أقدس، أنا لا أريد أن يترك المجاهدون الافغان دون سند ودون امداد، وكذلك المسلمون في الفلبين وكذلك المسلمون الذين يضربون في القارة الهندية والافريقية، أنا أعلم أن هناك خططاً لجعل أفريقيا وهي قارة اسلامية، قارة مسيحية خلال نصف قرن، لماذا نسكت عن هذا، ان أعداءنا يتحركون بجرأة و يعلنون عن صيغتهم الدينية بصراحة، فنفاقنا وتوارينا للاتصال بالاسلام لا يجوز، يجب أن أقول بأعلى صوتي أنا مسلم وسأدافع عن ديني ولا أقبل نزاعات عنصرية ولا فلسفات اباحية ولا فلسفات الحادية ولا أقبل أن يزاحم الاسلام في بلاده بأي مبدأ أخر دخيل هذا شيء يجب أن نعرفه.

فضيلة الشيخ الاعلام الاسلامي اليوم في الصحف في المجلات والخطب يشغل حيزاً كبيراً من العمل الاسلامي، هل ترون أن هذا الجانب يؤدي ما عليه من واجب أم أنه ما زال دون المستوى المطلوب؟

لا.. الدعاية الاسلامية فاشلة في الداخل والخارج، ففي الداخل لا تهتم إلا بالقشور، و يعولون على الاشكال و يأخذهم بريق العناوين، ولا يدخلون في صلب الحقيقة، فالأمم لا تنهض الا على الحقائق، وعندما يكون الانسان بروحه وأعصابه وفكره مهتماً بقضية من القضايا ومعطيها أعز ما عنده ينتظر الخير، أما الشكليات فلا تصنع شيئاً مثل المظاهرات والاضطرابات والهتاف فالقضايا لا تحل بهذه السخافات، وأما من الخارج، فالناس لا يعرفونكم معرفة تشرفهم، بل ربما نظروا اليهم على أنهم طلاب شهوات أو أنهم يملأون العالم الثالث وهو عالم متخلف ليس له وزن حضاري ولا تقدم صناعي معنى هذا لا يستحقون أن يكونوا في الصدارة ولا الانصاف، فدعايتنا لا تعتمد على شيء، ولا بد أن تكون

عندنا يقظة حقيقية، ربما تمر الامة الاسلامية الان بحالة هزيمة، لكنها لا تشبه أبداً هزيمة اللاعب في حلبة الملاكمة، فالضربة القاضية لا تدخل بالمعنى الحرفي لها على المسلمين، هزيمة المسلمين جاءت نتيجة نخر داخلياً نال منهم فاستنزف قواهم فصاروا في الطريق متخاذلين، ولو لم يضربهم عدو لسقطوا من تلقاء أنفسهم، أمتنا يجب أن تعرف أنها مصابة من داخلها، وأنها اذا لم تداوعللها وتعرف طريقها، فلن ينفعها لا جهة شرقية ولا غربية، كل مجلة الان تعطيك بعض الحقيقة، و يستطيع المواطن من بعيد أن يأخذ جملة الحقائق من جملة مجلات، لكن رجل الشارع مخدوع فانه غذاء ناقص من المجلة التي يقرأها ولو أخذ وجبة كاملة من المعلومات لكان خيراً، فلذلك من يقرأ مجلة واحدة فانه يأخذ وجهة نظرها فقط، انتهى الامر.

فضيلة الشيخ محمد الغزالي من القضايا الكبرى التي تواجه الامة الاسلامية اليوم المعركة الدائرة منذ خمس سنوات بين ايران والعراق، العراق مدعوم من الانظمة العربية بحجة أن المعركة معركة قومية تدعمه الدول العربية بشكل كبير وفي الجبهة الاخرى، ايران التي تواجه المعركة باسم الاسلام والجهاد الاسلامي لتخليص الشعب العراقي واقامة الوحدة الاسلامية فما هو الموقف الذي يمكن اتخاذه من هذه القضية الهامة؟

فيما ذكرت الاسلام بعيد عن القومية العربية وغيرها ما يعطي فكرة عن رأي في الموضوع لأنني أؤثر الأخوة الاسلامية وأؤثر أن تبقى ايران الاسلامية مكتملة القوى ولا تستنزف قواها في حرب لا أخر لها، وأتمنى من الله أن يلهمهم الرشد فيحلوا القضية حلا اسلامياً هذا ما أرجو، أنا قلت رأي في القومية العربية.

الطليعة الاسلامية بحاجة حقيقية لأن توجهوا لها نصيحة وعلى صفحاتها أن توجهوا كلمة لقرائها وكلمة للمسلمين في كل مكان من أرض الاسلام؟

كل ما أنشده لاخواني في المشارق والمغارب أن يكونوا على مستوى دينهم نحن نكون تقريباً ربع العالم، فهم يقولون أن المسلمين مليار في العالم والعالم ٤ مليار ونصف تقريباً، وأنا أتهم الاحصائيات، لأني وجدت احصائيات كثيرة تزور عمداً لتقليل المسلمين وهم كثرة، ولكن ربع العالم اذا كان مسلماً، فانه اسلام جغرافي، والاسلام الجغرافي لا يشرف أصحابه ولا يجعل لهم مكانة مرموقة في دنيا الناس أنا أرجو من اخواني المسلمين أن يكون ولاؤهم لله ولدينهم أولا وأن يتحول هذا الولاء الى عمل دؤوب لليقظة الاسلامية في جميع الميادين، العمل الاسلامي يجعل الكون كله محراباً، ويجعل من العمل في المصنع والحقل تسبيحاً وتحميداً لله سبحانه وتعالى ويجعل من القلم واللسان أدوات جهاد لخدمة الحقيقة ولاعلاء رايتها، أمور كثيرة مطلوبة من المسلمين الان لا تحتاج الى قوى صناعية ولا تحتاج الى الدخول في حرب الفضاء يعني على أرضهم يستطيعون أن يصنعوا شيئاً، والاصلاح الاسلامي لا بد أن يكون داخلياً أي من اصلاح النفس، ان اصلاح النفس حركة التحول الاولى نحو نهضة كريمة، العبرة التي نعرفها أن الاسلام أبونا وأمنا ويجب أن نتشبث به لنحيا، واذا كان التدين للحصول على الاخرة وتأمين الجنة عند الله، فالتدين بالنسبة للعرب الان لتمكينهم من أن يعيشوا في هذه الدنيا وأن يحرزوا حياتهم يعني أن الدين معاش ومعاد، أو تأمين للغد، فالدين بالنسبة للعرب اليوم هو قارب النجاة واذا لم يدركوه غرقوا.

صلاح الدين فتحي

حملة اسرائيلية لتغيير معالم القدس

منذ احتلال اسرائيل للقدس في سنة ١٩٦٧ وسلطات الاحتلال تعمل بدأب على تحويل المدينة لتلائم الصبغة اليهودية، والهدف: جعل مدينة القدس عاصمة لاسرائيل وذلك بنسف بنية المدينة الاصلية، ففي الـ ١٣٠٠ سنة الماضية من تاريخها الاسلامي لم تشهد المدينة الا محاولة واحدة توازي مايصنع بها الآن: وذلك خلال الاحتلال الصليبي لثمانين عاماً قبل فتح صلاح الدين حيث حاولوا بامبريالتهم الصليبية تطويع القدس لتناسب التفسير الاوروبي للنصرانية.

لم تقتصر خطط اسرائيل للقدس على ترحيل أو تحويل الكثافات والتحورات السكانية ولكن تعدتها الى اعادة بناء وحدات سكنية وقطاعات صناعية ومصادرة الاراضي والممتلكات العربية بحيث يتسنى للسلطات الاسرائيلية أن تشدد من قبضتها السياسية على المدينة. وكان العرب — سكان المدينة الاصليين — هم العقبة الرئيسية في طريق اسرائيل ولكي تخل بالتوازن السكاني للقدس عمدت اسرائيل أولا الى منازلة «مشكلة تركز السكان العرب» وليحلوا هذه المعضلة «العربية». استقدموا عشرة آلاف مهاجر يهودي سنوياً، وحسب التقديرات الاسرائيلية فان هذا العدد يكفي ليلغي نسبة ازدياد المواليد العرب. والاعمال العمرانية والتجارية تشكل جواذب لاستيطان اليهود من المدينة، وأقيمت «أقاليم صناعية» لتؤمن بقاء اليهود في المدينة وتمنعهم من التفكير بالرحيل.

وبعد استقطاب الهجرات اليهودية الى المدينة نشأت حاجة ماسة لانشاء البيوت والمساكن ليخففوا من وطأة هذه الازمة قامت السلطات وأنشأت مباني سكنية مكثفة في الحي اليهودي من المدينة (قسمها القديم) وتوسعت الجامعة العبرية ومشفى هداسه (المشفى اليهودي) ولكن إذنا بانشاء جامعة عربية ممنوع.

وبعد الاحتلال مباشرة قاموا بهدم الحي العربي المغربي الموازي لحائط المبكى والذي يعود تاريخ وجوده الى القرن الثامن ولم يشفع له أنه «وقف اسلامي» قام اليهود والغوا هذا الحي من الوجود بعد دقائق من أخطار السكان بالرحيل والالف عائلة التي أصرت على البقاء شردت رغماً عنها.

لقد استملك اليهود عشرات الدونمات من المدينة القديمة ليعيدوا بناء الحي اليهودي في سنة ١٩٦٨ من بين ٧٠٠ مبنى كان العرب يمتلكون ١٠٥.

وكان يسكن هناك خمسة آلاف وخمس مئة أسرة عربية بعضهم كان يسكن هناك منذ أجيال وأحيال وبعضهم استسكن هناك في أعقاب سنة ١٩٤٨ عندما خرجوا من المناطق التي احتلها اليهود.

في سنوات الاحتلال الثماني الاولى شرد ٩٥٠ أسرة عربية والاحتجاجات والمرافعات القانونية

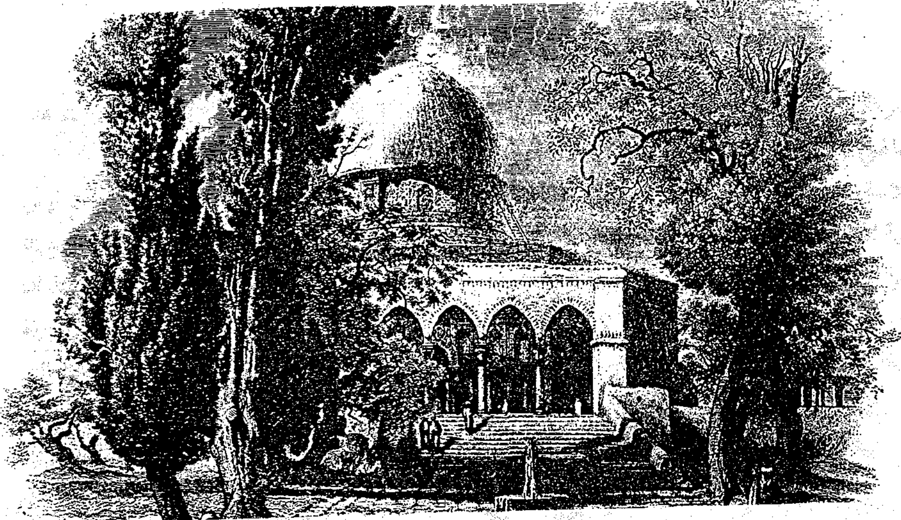
أخرت «طردهم من منازلهم» حتى عام ١٩٨٠ عندما فرضت عليهم أوامر النزوح. توافد الى البيوت الجديدة ١٫٥٠٠ عائلة يهودية في سنة ١٩٧٥ ولم تأت سنة ١٩٨٠ الا و ٤٠٠ عائلة يهودية جديدة قد آوت نفسها والخطط لايواء ٦٥٠ أسرة شملت يهود هاجروا الى فلسطين قبل ١٩٤٨ ووافدين اخرين بالاضافة الى أفراد القوات المسلحة. وكان العرب يستثنون من هذه المناطق. بعد مصادرة الاراضي العربية وطرد الاسر العربية من الحي اليهودي في سنة ١٩٨٠ الى ضعفي حجمه عام ١٩٤٨.

خطة سنة ١٩٦٨ الام لبناء المساكن كانت تهدف الى الجمع بين القدس الشرقية والغربية وضمن أطر المحلات والبلديات الاسرائيلية التشكيل يتم الان انجاز المشاريع المقررة في منطقة كيلو خطط ل ٨٫٠٠٠ ــ ٩٫٠٠٠ وحدة سكنية و ٤٠٠٠ في النبي يعقوب و١٠٫٠٠٠ في راموت. في هذا السبيل احوج العرب وأسرهم تحت استعمال القوة الى مغادرة اراضيهم التي استملكها يهود وحتى يصبغ يهود الشريعة على عملهم في طرد المواطنين العرب فانهم تذرعوا بقانونين بريطانيين: الاول هو القانون البريطاني الامبريالي لعام ١٩٤٣ (قانون تحصيل الاراضي للخدمة العامة) والثاني هو قانون غياب مالك الارض. وبموجبها ادعى يهود ملكية اراضي أصحابها لاجئون فلسطينيون وذلك بمصادرة الحكومة الاسرائيلية لها. لقد منع على الفلسطينيين الذين يعيشون خارج المدينة العودة اليها والذين سكنوا داخلها أحوجوا على الرحيل وحياة التنقل وبما أن الاسرائيليين رفضوا الاعتراف بالوقف الاسلامي وأراضي زراعية ملاكها عرب القرى أو أسر معينة فانهم لجؤوا الى طرد الساكنين من سكناهم. وان دفع للعرب مال فانه لايتعدى نسبة بسيطة من الاسعار المعترف بها والمستوى الساري لتلكم القيم في آنها. وفي حبكة أخرى قام الاسرائيليون ببناء وحداتهم السكنية لتحيط بمنطقة عربية وذلك لتخويف العرب ودفعهم الى النزوح.

وخطة ١٩٧٤ الشاملة ركزت على بناء مناطق صناعية خارج اقليم البلديات كانت عطروت اولى المشاريع هذه في شمال المدينة وذلك ضمن خطة أوسع تقتضي ضرب نطاق من المصالح الصناعية حول المدينة لتحيط بها احاطة السوار بالمعصم.

وخطة القدس الممتدة لسنة ١٩٧٨ تنبأت بمنطقة ضواح تابعة للقدس تأخذ وجودها من استملاك أراض عربية.

منذ سنة ١٩٦٧ قام حاخامات يهود باقامة صلواتهم في الحرم الشريف مما اثار احتجاجات ومظاهرات عربية في القدس والضفة الغربية في ذلك العام من بين ٤٠ يهودياً مثلوا أمام القضاء واجه ثمانية منهم المحاكم بسبب صلاتهم في الحرم الشريف وقامت احدى محاكم القدس وأثبتت حقهم في الصلاة في الحرم مما أشعل تظاهرات أضطر على أثرها الى الغاء (أو تجميد) أمر المحكمة يعتقد يهود بأن هيكلهم الثاني التاريخي والحرم الشريف يحتلان نفس البقعة من الارض. و يصبو السياسيون والحاخامات الى ذريعة يستطيعون بواسطتها استملاك المسجد الاقصى الى جانب قبة الصخرة. وفي سنة ١٩٦٧ قال الوزير الاسرائيلي المسؤول عن الشؤون الدينية فيما يخص الحرم الابراهيمي المقدس في الخليل فان جوفه عبارة عن



معبد يهودي اشتريناه كما اشترينا الصخرة المقدسة من قبل في أيام داوود. وحقوقنا في الكهف الابراهيمي والصخرة هي حقوق المسيطر المالك.

حاول الاسرائيليون حرق المسجد الاقصى في شهر آب ــ أغسطس ١٩٦٩ و بعدها بخمس سنوات حفر نفق أرضي تحته. وتم اكتشافه صدفة في سنة ١٩٧٥ عندما كان مهندسون يرممون المسجد. قال الحاخام برلا مدير الا ثار المقدسة لمهندسي الاقصى: اننا لانفهم اعتراضكم، فالحفريات هي في صالح الجميع انها تستجلب السياح والمال. وقال الدكتور كافان التابع للجامعة العبرية في سنة ١٩٨٠ مؤكداً ان أعمال الحفر حول الحرم تكشف أن الحرم اياه جزء من الهيكل اليهودي الثاني. وهكذا فان الاقصى هو الهدف الاسرائيلي في هذه السنوات كلها والمحاولة الاخرى ولن تكون الاخيرة لنسف المسجد الاقصى حصلت في مايو أيار سنة ١٩٨٠ عندما وجد ١٢٠ كيلوغرام من (ت.ن.ت. المتفجرات) في جوار المسجد الاقصى والذي تبين أن مائير كاهانا و باروخ كرين هما المسؤولان عن هذه الشحنة.

بعد الاحتلال الاسرائيلي للمدينة قام الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) بسن قانون حماية الاماكن المقدسة بتاريخ ٢٧ حزيران يونيه ١٩٦٧ والذي ينص على:

«سيتمتع المكان المقدس من انتهاك حرمته أو أية مخالفة من شأنها المساس بحرية التواجد لاعضاء ذلك الديانة أو الديانات في الاماكن التي يعتبرونها مقدسة ويحلونها في معتقداتهم».

لقد اعطى هذا القانون حقوقاً لليهود لم تكن لهم من قبل. ولكن هذا القانون لم ينفذ بالرغم من كل حوادث الانتهاكات والمخالفات الواضحة للقانون.

ولايبقى مجال للشك بأن الاماكن المقدسة في القدس معرضة لخطر جسيم. تريد السلطات الاسرائيلية أن تدمرها تمهيداً لزعمها «الهيكل الثاني» و بناء الهيكل الثالث على انقاض الحطام الاسلامي.

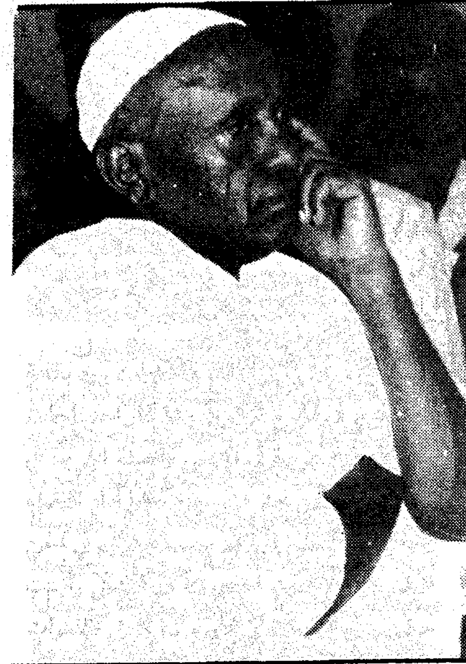
وعندما يتم ذلك فان مهمة تهويد القدس يكون قد أنجز.

مسلم ميديا ــ لندن

مقالان للحوار :
حول اعدام محمود طه

١ ـ اعدام السوداني غير الطيب
صافي ناز كاظم

تحت عنوان «اعدام السوداني الطيب ومارأى الجماعات الاسلامية في مصر» كتب الاستاذ أحمد بهاء الدين كلمة نشرتها جريدة الأهالي بعددها ١٩٨٥/١/٢٣ يعبر عن احتجاجه وألمه لاعدام محمود طه المرشد العام للاخوان الجمهوريين بحكم من محكمة الخرطوم. وفي تعريفه لهذا الرجل قال الاستاذ بهاء انه «داعية اسلامي قديم» وانه رئيس جماعة «الجمهوريين الاسلاميين» وأن هذا الرجل عرف عنه «اخلاصه الشديد لنشر دعوة الاسلام» و لم يحدث على تعاقب العهود أن أزعج هذا الرجل المؤمن انساناً أو نظاماً ولاحكماً في السودان وقال الاستاذ بهاء أن كل مشكلة هذا الرجل الذي «أنفق اربعين سنة من عمره يدعوالى تطبيق الشريعة الاسلامية في السودان» انه اعترض «فقط» على اسلوب جعفر النميري في فهمه وتطبيقه للاسلام. وأنهى الاستاذ بهاء كلمته «بقدر حزني على الرجل، بقدر الفجيعة في نظرة العالم حين يسمع أن هذا هو حكم الاسلام، وهذا هو أسلوب تطبيق الشريعة الاسلامية. ومن يقول للعالم أن الاسلام بريء مما يفعله بعض المسلمين وأهاب بكل الجماعات الاسلامية «ذات النفوذ الواسع في



□ آخر صورة التقطت لمحمود محمد طه □

العالم العربي» أن تعلن رأيا صريحاً في هذا الامر وعلنياً.

وهأنذا واحدة من المسلمين أبادر بالاستجابة الى ندائه لاشكر الاستاذ أحمد بهاء الدين لأنه ابدى حزنه وعبرعن احتجاجه على اعدام من تصور أنه داعية من دعاة الاسلام وكنا نود لو انه أبدي مثل هذا الحزن ومثل هذا الاحتجاج عندما قتل عبد

الناصر ظلماً وجوراً الشهيد عبد القادر عودة، العالم والقاضي الفذ، والشهيد الشيخ فرغلي، والشهيد العلامة سيد قطب، وعندما قتل صدام حسين بهمجية لامثيل لها ومن دون محاكمة مائة من علماء الدين بالعراق ومن طلاب المعاهد الدينية وعلى رأسهم الشهيد العلامة محمد باقر الصدر مؤلف كتب: «اقتصادنا» و «فلسفتنا» و «البنك اللاربوى» الى آخره ومعه شقيقته الداعية الاسلامية الآنسة آمنة الصدر وعندما قتل حافظ الاسد مالا يعد ولا يحصى من علماء الدين بسوريا، وعندما وعندما وعندما ...

مئات الدعاة الاسلاميين الذين ذبحوا وقتلوا ونسفوا وسجنوا وشردوا وعذبوا لالسبب الا بمطالبتهم بتطبيق شريعة دين الله الحق. والاستاذ بهاء يعرف كا هذه الحوادث والوقائع تفصيلياً ولكنه لم يكتب حرفاً حزناً عليهم أو احتجاجاً من أجل «الدعاة الاسلاميين» بل على العكس لقد اباح عندما كان رئيس تحرير المصور نشر مقالة مزرية بقلم كامل الزهيري تحت عنوان «النزارية الجديدة» هجوماً وتلطيخاً وتشويهاً لصورة الشهيد سيد قطب بعد ان تم تنفيذ حكم الاعدام في الشهيد الذي لايعوض في ١٩٦٦/٨/٢٠. ولم يكن بامكان أحد أن يرد الافتراء الى نحره لان كل الذين كان بامكانهم الرد كانوا داخل السجون ولم يكن من المروءة ولا من الشجاعة أن يضرب شهيد بعد موته أو تسب جماعة مقطوعة اللسان، ولذلك فانه من المدهش ان نجد حماس الاستاذ أحمد بهاء الدين يتزامل مع بيان أمانة اللجنة المركزية لحزب التجمع لاستنكار اعدام مازعموا انه «من قادة التيار الاسلامي بالسودان» فمنذ متى كانت هذه الغيرة على الاسلام والمسلمين؟

الحقيقة ان هذا الـ «محمود محمد طه» ليس سوى زعيم جماعة اسمها «الاخوان الجمهوريين» فقط من دون «الاسلاميين» وهذه الجماعة منذ ان تكونت عام ١٩٤٥ وحتى الآن، كانت معروفة بكونها المرادف السوداني لجماعة «القاديانية» التي ظهرت بالهند وجماعة «البهائية» التي ظهرت في ايران عام ١٨٤٤ وكما حدث في ايران عندما تنبه الناس والعلماء الى خروج البهائية عن الاسلام باعلان البهائيين في مؤتمرهم بمدينة بدشت «نسخ الشريعة الاسلامية» والعياذ بالله وافتى علماء السنة والشيعة بايران والعراق باعتبارهم مرتدين وطلبوا منهم التوبة قبل تنفيذ احكام الاعدام عليهم تطبيقاً لحكم الشريعة الاسلامية على المرتد، حدث في السودان نفس الشيء فتم اعدام محمود محمد طه، بعد استتابته لمدة ثلاثة ايام بصفته مرتداً عن الاسلام ومناوئاً حقيقياً للشريعة، فالحقيقة هي:

ان محمود محمد طه كان قد اعلن في كتاباته وبياناته واحاديثه الصحيفة بأن الشريعة الاسلامية نزلت لتناسب القرن السابع فقط ولكنها لاتناسب القرن العشرين. ونادي بالصلح مع اسرائيل. وأفتى بامكانية اسقاط الصلاة. والغى الجهاد والحجاب ونادى بالخضوع للغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص ومنذ ان ظهر هذا الرجل وكل علماء الدين بالسودان يفتون بتكفيره واعتباره مرتداً حتى قبل ان يقرر السودان اتخاذ سبل تطبيق الشريعة الاسلامية (راجع في عدد مجلة الوادي رقم ٤٧، مارس ١٩٨٣، صفحة

٣٢ ـــ ٣٦ مقابلة مع محمود محمد طه).

قد نختلف مع النميري في الف مليون شيء، ولكنا لايمكن أن ناخذ عليه اتخاذه طريق الشريعة الاسلامية سبيلا له في الحكم. ولقد كان النميري يخطىء من قبل ولكن هذه الهجمة الشرسة لم تشن عليه الا بعد ان اعلن تطبيق الشريعة الاسلامية. وعندنا في الاسلام قاعدة «الاسلام يجب ماقبله» ومنذ ان أعلن النميري تطبيق الشريعة بدأنا معه صفحة جديدة، لانحصى عليه من الاخطاء الا كل ماابتعد عن الشريعة وتعارض مع روحها. وهنا في واقعة اعدام «محمود محمد طه» فان واجبنا أن نهنيء السودان لانه قطع رأساً من رؤوس الفتنة وقطع السبيل على امام من الائمة الداعين الى النار، وعليه بعدها ان يقف بحسم مماثل من فتنة الجنوب، و يراجع اوراقه ليصحح علاقاته فلا يعادي دولة اسلامية لحساب نظام علماني يجحد الشريعة و يقتل الذين يأمرون بالقسط من علماء المسلمين.

«... يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون».

آل عمران / ١٦٧

صدق الله العظيم

---

٢ - حول اعدام محمود طه

عثمان نصر الله

محمود طه أوّل في أركان الاسلام حتى أبطل نصوصاً لا خلاف في تفسيرها مثل وجوب الوضوء والصلاة على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال أن فروض الصلاة الخمسة رفعت عنه بمواقيتها أو بأصول أدائها لأنه بلغ من الاحسان حداً أذن له الرحمن فيه بهذا الاعفاء، وهو أمر لم يرفع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يأذن الرحمن بمثل هذا الاعفاء لحبيبه المصطفى. ونقض بالنهج نفسه الزكاة وغير ذلك من أركان الاسلام وأصوله التي أجمع عليها المسلمون على مذاهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والسلفية والجعفرية واليزيدية ولهذا عندما يدان محمود طه بالكفر والارتداد لا يكون في هذه الادانة شك أو شبهه أو مراء. كما من غير الممكن ادراج افكاره ضمن اطار الاجتهاد الذي ينال صاحبه أجرين أن اصاب واجراً أن اخطأ. لأن لا اجتهاد في موضع النص الصريح الذي لا خلاف في تفسيره، ولا اجتهاد في السنة المؤكدة. ومن هنا لا يدخل ناقض النص المحكم والسنة المؤكدة في عائلة المجتهدين وانما ينتقل الى الضفة الاخرى من النهر حيث الكفر والشرك.

ولهذا حين نعلن رفضنا لاعدام محمود طه بسبب ارائه نفعل ذلك ونحن ندينه بالكفر والشرك ولا نرى فيه مجتهداً أو صاحب رأي في الاسلام. وهذا موقف يختلف عن موقف أولئك الذين أدانوا هذا الاعدام باعتباره اعداماً لمجتهد تنطبق عليه شروط الاجتهاد فأولئك يحاولون في غمرة الدفاع عن الحرية الفكرية أن يهربوا الى الاسلام بضاعة مغشوشة فيقررون أن من حق المرء أن يجتهد كما يشاء في الاسلام، ولوضرب عرض الحائط بالنص القرآني الصريح والسنة المؤكدة. وهذا ما لا يجب القبول به لان للاجتهاد في الاسلام أصوله وتقاليده ومناهجه وحدوده ومن ينقض ذلك يكون قد اجتهد على أرض أخرى غير أرض الاسلام ويجب أن يعامل و يعالج من هذه الزاوية أي باعتباره صاحب رأي لا يمت الى الاجتهاد الاسلامي بصلة بل هو مدان بالكفر الصراح والرده الواضحة حين يعطل أركانا وأصولا. ولهذا يجب أن ترد تلك البضاعة المغشوشة الى أصحابها فوراً من قبل الاسلاميين الذين رفضوا اعدام محمود طه كما من قبل الاسلاميين الذين قالوا بوجوب اعدامه أو سكتوا عن ذلك.

أما من جهة أخرى فان حادثة الاعدام هذه يجب أن تفتح حواراً جاداً بين الاسلاميين الذين ادانوا الاعدام أو رفضوه أو تحفظوا عليه والذين ايدوه أو سكتوا عنه.

هنالك من أدان الاعدام أو رفضه أو تحفظ عليه أو لم يستطع اعلان تأييده له لسبب يتعلق بشكه في اسلامية نظام النميري، ومن ثم بأحقيته في اعدام الرجل تحت راية الشرع الاسلامي. وهؤلاء، عندهم ما يقولونه حول النميري من جهة تاريخه الاسود في القمع والاضطهاد والحكم الفردي الاستبدادي. وعندهم ما يقولونه الان بعد اعلان عودته الى التمسك بأهداب الدين وتطبيق الشرع الاسلامي، من حيث مواقفه السياسية المدانة اسلامياً ادانة قاطعة فهوما زال مؤيداً لاتفاقية كمب ديفيد وداعية صريحاً للتفاوض والصلح مع العدو اليهودي الاسرائيلي الذي يغتصب فلسطين و يستبيح حقوق المسلمين وأعراضهم ومساجدهم ولا يألوا جهداً في الافساد في الارض. وهوما زال مترامياً على أعتاب أمريكا بدلا من أن يتبع لو كان صادقاً في حرصه على تطبيق الشرع الاسلامي، في سياساته الدولية المبدأ الاسلامي الذي ميزانه زيتونة لا شرقية ولا غربية، ثم تكفي فضيحته الاخيرة بالتواطؤ في تهريب الفلاشة، أما في الداخل فان اقرار تطبيق الشرع الاسلامي ــ على أهمية الاقرار بحد ذاته وايجابيته ــ لا يستقيم أمره الا اذا قام العدل الاسلامي، ولا يكون ذلك الا اذا سلم الامر من رأس السلطة حتى القاعدة الى الاسلاميين الصادقين العادلين. ولكنه بدلا من ذلك استبق نهجه في الحكم والسلطة، من حيث الجوهر، على حاله المعهود، بل زاد من امساكه بمقاليد الحكم. وراح يناور مع الحركة الاسلامية تقريباً وابعاداً، ابتسامة في الوجه وطعنة في الظهر. ولا نتجاوز حدودنا اذا قلنا لاخوتنا قادة الحركة الاسلامية في السودان ونخص الاستاذ الاخ حسن الترابي، حذار، حذارمن مكيدة كبرى تدبر لكم. فالرجل اشتهر بقلب ظهر المجن لاخلص اعوانه واخوانه وأصدقائه. ولكن مع ذلك فاننا في مجلة الطليعة الاسلامية، نعتزبكم، ونحترم قراراتكم، ونقف الى جانبكم وندعمكم بكل قوتنا، دون حاجة الى أن نشدد على ما نكن لكم

من صادق مشاعر الاخوة الاسلامية التي أنعم بها الله علينا حين جعلنا مسلمين.

ان كل هذه الاسباب تجعل ما عند أولئك الاخوة وجيهاً وقوياً في ادانتهم لاعدام محمود طه على يد نظام النميري، أو رفضهم أو تحفظهم أو الامتناع عن التأييد.

على أن من المهم أن تطرح نقطة أخرى في هذا الصدد وهي تناول الموضوع غير مقيد بظروف نظام النميري بالرغم من وجاهة ربط الموضوع بظروفه القائمة. فالمسألة تحتاج الى وقفة أبعد من الحادثة بحد ذاتها وظروفها. انها مسألة الموقف الاسلامي من الذين يحملون أفكاراً ومعتقدات خارجة عن المعيار الاسلامي ويمكن أن توصف بالكفر أو الشرك أو الاتجاهات السياسية المعارضة. انها مسألة موقف النظام الاسلامية وهو في السلطة من أصحاب الافكار والمعتقدات والسياسات المخالفة حتى الكفر والشرك. وهي قضية تأخذ في هذا العصر وضمن الظروف الراهنة للامة الاسلامية بعداً شديد الخطورة والاهمية.

فمن جهة تتحدى الحضارة الغربية العالم كله، من الناحية الفكرية، بما تقر به في داخل نظامها من حرية فكرية وعقيدية وسياسية تسمح بالتعدد وتشكل الاحزاب والدخول في المنافسة الانتخابية وصولا للسلطة أما من جهة أخرى فقد اقامت تلك الحضارة نفسها، أو خلفت وراءها في مستعمراتها السابقة، أنظمة علمانية في بلدان العالم الثالث، خصوصاً، العالم الاسلامي، تحكم شعوبها بالقمع والارهاب، والحديد والنار، وتكم الافواه، وتمنع حرية التعبير عن الافكار والاراء، وقد زاد هذا الامر تفاقماً مع قيام أنظمة متأثرة بالجناح الشرقي من الحضارة الغربية (أي الكتلة السوفياتية) فاقامت أنظمة الحزب الواحد أو الجبهة الصورية لتنطلق بلا رادع في القمع والاضطهاد حتى اباده المدن والقرى بالقصف والتشريد والتشتيت. أما المثقفون العلمانيون، والاسلاميون أيضاً، فقد أصبحت حرية التعبير والفكر بالنسبة اليهم أمنية عزيزة وقد راح البعض منهم يقدمها على أية أمنية سياسية أخرى.

لقد أثبتت التجربة على مستوى العالم الثالث عموماً، وعلى مستوى العالم الاسلامي خصوصاً وان أنظمة العلمنة المتجهة سياسياً وفكرياً نحو الشرق السوفياتي أو أمريكا وأوروبا الغربية غير قادرة على افساح المجال للحرية الفكرية والسياسية حتى أضيق الحدود بل أثبتت التجربة ان اتجاه تلك الانظمة ذاهب في الايغال أكثر فأكثر في عالم القمع والاضطهاد والظلم والارهاب كما هو ذاهب في الايغال أكثر فأكثر في التبعية للغرب في جناحيه (الشرقي السوفياتي والغربي الامريكي ــ الاوروبي) وقد ساعد هذا الحال على رسم صور زاهية في أخيلة الكثير من المثقفين ــ حتى بعض الاسلاميين ــ للغرب الامبريالي حيث يتمتع الفرد والجماعات بحقوق سياسية واجتماعية وفكرية تتيح لهم التعبير عن أفكارهم وآرائهم ومعتقداتهم. الامر الذي يتطلب من المشروع الاسلامي في عصرنا الراهن أن يقول كلمته في هذا الامر غير متأثر بالنموذج الديمقراطي الغربي وهو نموذج غير قابل للتعميم على نطاق العالم الثالث، وغير منحرف عن المبدئية الاسلامية التي تشكل الجواب الحقيقي لهذه المشكلة كما لسائر المشاكل الاخرى التي يعاني منها العالم، وبالخصوص العالم الاسلامي.

ان القدر من الحرية في التعبير عن الرأي الذي أعطاه الاسلام الاول للمسلمين ولمخالفي عقيدته في ظل دولته الاسلامية لم يكن له من مثيل في العالم كله بل هو أرق مما يتمتع به الغرب من زاوية الحرية للفرد والجماعات. بل انه تميز عن الغرب في هذا المجال كونه طبق ذلك حيثما امتدت دولته وقام نظامه بينما الغرب فقد عامل هذه القضية بمعيارين أحدهما في داخل بيته والاخر للعالم الخارجي.

ولعل الكثيرين لا يستطيعون القبول بهذه الرأي بسبب سيطرة الاشكال الغربية المعاصرة كالاحزاب السياسية والمؤسسات والصحافة والانتخابات. وهي في الحقيقة أشكال تتطور مع الزمن والظروف، فبنوا تميم، على سبيل المثال في ظل الدولة الاسلامية كانوا يتمتعون بنفوذ وقوة داخل الدولة الاسلامية الاولى أكثر مما يتمتع به أي حزب، من الاحزاب في النظام الديمقراطي. وكانت الولايات الاسلامية تتمتع باستقلال ذاتي ضمن الدولة الاسلامية أكثر مما تتمتع به الولايات الامريكية في الولايات المتحدة الامريكية فكان الخراج على سبيل المثال، لا يرسل الى بيت المال الا بعد استيفاء كل حاجات الولاية فلا يرسل الا ما يفضل على ذلك. واذا ازدادت الحاجة عليه ارسل من بيت المال (المركزي) لسد تلك الحاجة.

حقاً ان المقارنة ليست دائمة مقنعة لان من السهولة بمكان أن يجد المرء فروقاً واختلافات فيما بين الحالات التي تجري المقارنة بينها. ولكن المقصودين هنا هم الاسلاميين الذين لا يحتاجون الى اقناع بأفضلية النظام الاسلامي على النظامين الرأسمالي والاشتراكي.

اذا كان الاسلام الاول خلف وراءه كل ما عاصره وسبقه من أنظمة خصوصاً، في مجال العدل والنمو الانساني والتفتح والاشراق الفكري. واذا كان تفوقه، في نظر الاسلاميين، مسلماً به على كل الانظمة المعاصرة الان، فهذا يقتضي من أهله الذين يريدون اعادته الى هذا العصر باعتباره عقيدة الحق ونظام الخلاص الانساني والتحرر من عبودية الانسان للانسان، أو عبودية شعب لشعب أخر، أو عبودية الانسان للشهوات والهوى والطمع والمفاسد، من أجل جعل العبودية لله تعالى وحده ــ وهو شرط تحقيق العدل والنمو الانساني والتفتح والاشراق الفكري والروحي، وسد الحاجات المادية الضرورية للانسانية. ان هذا يقتضي من أهل الاسلام أن يقيموا النظام الذي يمنع قمع الفكر والمفكرين ويحول دون اضطهاد الناس وحرمانهم من حقهم في التعبير عن أرائهم وأفكارهم ولا يعطي للحاكم حق نصب المشانق بسبب الرأي والاعتقاد ومخالفته حتى بالنسبة الى أولئك الذين لا يأخذون بعقيدة الاسلام ولا يقفون على أرض الاسلام. فاذا كان الاسلام لا يتبنى مبدأ الحرية كما يعبر عنه في الديمقراطية الغربية ولا يتبنى أيضاً مبدأ دكتاتورية البروليتارية أو الحزب الواحد كما يعبر عنه في الاشتراكية الماركسية ــ اللينينية، فانه في المقابل يجادل بالتي هي أحسن ويقرع الحجة بالحجة ولا يخاف من مناقشة الملاحدة والكفرة والمشركين ولا ينصب لهم المشانق ما داموا لا يحملون السلاح ويقاتلون الاسلام ولا يثيرون فتنة تشق الامة على بعضها وتريق الدماء البريئة، ولا يتعاملون مع أعداء الاسلام، أو يكونون خونة في الداخل يعملون لحسابهم. فالاسلام لا يضع

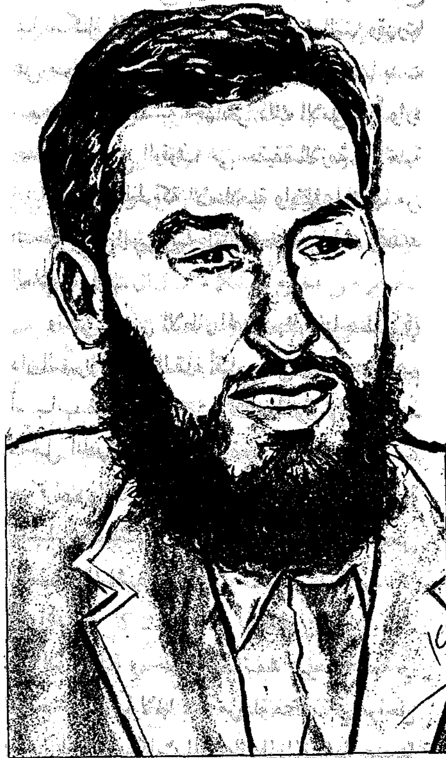
المؤمنون والكافرين على قدم المساواة كما تفعل دساتير الديمقراطية الغربية ولا يقر أو يقبل التشجيع على الكفر. فهو لا يعطي الشرعية للكفر وان كان لا يقمع الكافر بحد السيف اذا لم يناصبه القتال و يرفع السيف في وجهه .. انه فرق دقيق حساس بين ما هو متعارف عليه في الديمقراطية الغربية من مبدأ للحرية واعطاء شرعية للكفر وبين منهج الاسلام الذي يحمل قضية ولا يعطي شرعية للكفر بل أنه يدين الكفر ويجرمه ولكن لا يقمعه بالسيف ما دام صاحبه لا يرفع السيف في وجه المسلمين، أما موضوع اقامة الحد على المسلم الذي يرتد عن دينه فهذا حد لا يعطل ولكنه شأنه شأن كل الحدود الاخرى يدرأ بالشبهة. وفي هذا مجال واسع لاخذ ظروف الامة بعين الاعتبار في هذا العصر حتى يقوم عدل الاسلام وتذهب عن الامة المجاعة والفاقه في المعدة والعقل والروح على حد سواء. ان الامة تعيش في ظروف عاث فيها الفساد والمفسدون. وخرب الكثير من مثقفيها في عقولهم وقلوبهم وأرواحهم وأيديهم، بل أصبحت العودة الى الاسلام كأنها خروج عن القاعدة في هذا الزمن لا الارتداد عن الاسلام كما كان الحال في عهد أبي بكر رضي الله عنه. وهذا ما جعل كثير من الكتاب الاسلاميين المصلحين يعتبرون أن الامة تعيش في المرحلة المكية من حيث مسيرة العودة الى الاسلام و بعضهم يعتبر أن هذه المرحلة تحتاج الى خمسين أو ستين سنة قادمة زيادة عن السنوات التي استغرقتها المرحلة المكية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثمة فرق كبير بين من يذكرون هذه الظروف ليسوغوا الابتعاد عن الاسلام والانهزام أمام الحضارة الغربية و بين من يذكرونها ليحسنوا تدبير أمر الجهاد في سبيل انتصار الاسلام واعلاء كلمة الله. ومن ثم يحرصون على عدم تطبيق الحد بوجود شبهة ان لم تكن شبهات. كما يحرصون على ألا ينفر الناس من الاسلام حين يقدم حدوداً دون عدل، أو مظاهر دون جوهر، أو أقوالا دون أفعال، أو حين يقدم دون الاخذ بعين الاعتبار أن الاف الملايين من البشر يتطلعون الى منقذ وطريق جديد، ومن ثم لا يجوز أن يسمعوا عن الاسلام في السودان مثلا، إلا مشنقة لرجل لم يقم بردة مسلحة ولا يستطيع حتى أحداث فتنة صغيرة، أو لا يسمعون عن الاسلام الا قطع يد سارق بائس في بلد تسوده مجاعة بدلا من أن يسمعوا كيف اعاد الاسلام للشعب حقوقه وحريته ونشر في صفوفه العدل أو كيف نهض به لتحدي الدول الامبريالية الطاغوتية، أو دفعه الى الاقبال بحماسة المسلم المؤمن على الزراعة والصناعة وتحسين ظروف حياته التي أسهم الغرب الاستعماري في تدميرها وفرض التخلف عليها.

كلمة أخيرة، ومرة أخرى، الحذار ثم الحذار من ترك الحاكم المفرد المستبد يعلق مفكراً (ولو كان في فكره كفر وردة) على المشنقة دون أن يرفع الصوت احتجاجاً واستنكاراً لان في ذلك سابقة قد تقود الى المشنقة نفسها مسلمين صادقي الايمان وصحيحي العقيدة.

من تراث الحركة الاسلامية المعاصرة
«حق الاختلاف وواجب وحدة الصف»

الاستاذ راشد الغنوشي



أنبل ظاهرة، ولكن:

تلف عالم الاسلام غيوم قاتمة حاكتها أيادي الانحطاط وتجارب التجديد الفاشلة المرتبكة أورثت المسلمين مسلسلات من المصائب والنكبات وضربوا بها من الاستبداد والفساد والتمزق والتفرق والمحن المتكررة تكاد النفوس الخيرة تركن معها الى اليأس من امكانية تجنب الواقع البائس والمصير المهلك بعد أن أحاط بها أعداؤها الا أنه في خضم هذه الظلمات الكالحة انبثق قبس من النور اشرأبت اليه النفوس الخيرة يحدوها الامل أن لايكون ذلك فجراً كاذباً بل فجراً صادقاً.. تلك هي أنبل ظاهرة في عالم المسلمين الظاهرة الاسلامية التي ولدت وانتعشت على انقاض الهزائم المتكررة التي منيت بها ايديولوجيات اليمين واليسار على المستوى السياسي (غدا الاستبداد والقمع وكأنه قدر هذه الامة) وعلى المستوى الاقتصادي (الارتباط المذل بالاقتصاد الرأسمالي، وتفقير الشعوب رغم الثروات الطائلة) وعلى المستوى الاخلاقي والثقافي (انتشار ثقافة التحلل والتخدير

والتجهيل والانتقائية)... فكان انتعاش العمل الاسلامي واندلاع ثورات الاسلام في ايران وافغانستان وسوريا وفي المغرب العربي.. أنبل ظاهرة انبثقت من ليالي اليأس الطويلة الا أن هذه الظاهرة بقدر الامال التي عقدتها الجماهير عليها فسارعت الى الالتفاف حولها و بقدر الاخطار المحوقة بها من كل مكان بقدر مايشقها من أزمات حادة من خصام وتوتر وعطالة وعنف وارتباك وتآكل. وهي ظواهر لئن اختلفت حدتها من جماعة الى اخرى الا أنها تمثل قاسماً مشتركاً بين الجميع مما شكل المعوق الاساسي لنموها وفعاليتها وقدرتها على مواجهة تحدياتها والتصدي لخصومها، مما بدت معه للبعض خشية اجهاض ذلك الامل أمراً وارد جداً اذا لم يقع الوقوف على حقيقة الازمة الداخلية التي تعيشها الحركة الاسلامية وايفاؤها حقها من التحليل والدرس من أجل التشخيص الجاد وتحديد العلاج النافع.

ونلتقي ضمن الاطار المحدود بظروفنا هنا — في دار الغربة — بالقاء أقباس من الضوء على أهم أسباب ظواهر الاختلاف والتمزق والعطالة — داخل الحركة الاسلامية وتقديم وصفة علاجية جاعلين واقعنا القطري نصب أعيننا. ان للازمة أسباباً مباشرة واخرى غير مباشرة— وتتلخص الاسباب المباشرة في:

١) المحنة:

ان المحنة في حد ذاتها تعد مرحلة مهمة في تاريخ حركة ما لانها تمثل مرحلة متقدمة في مراحل نموها اذ تمر حركات المقاومة والمعارضة مع عدوها عبر خمس مراحل:

مرحلة اللامبالاة بها، مرحلة السخرية بها وتحقيرها، مرحلة السب والتشويه، مرحلة الاضطهاد، مرحلة النصر.

فالاضطهاد كما أكد غاندي وآخرون مرحلة تسبق النصر مباشرة، الا انه مرحلة خطيرة اذ يضع الحركة في مفترق طريقين بحسب اسلوب مواجهته يقود أحدهما الى التشتت والانقسام والتلاشي بفعل غياب قياداتها التاريخية وتأثير الدعاية المضادة التي يقوم بها النظام والاطراف السياسية المنافسة وعمليات الاستقطاب الداخلية والخارجية التي تقوم بها حتى الحركات التي تشترك معها في نفس الايدولوجية الحركات الاسلامية الاخرى في صورة الحال وتركيز حملات التشكيك على القيادات والمناهج توصلا للنتيجة التالية: أن الاضطهاد ماكان ليحصل لولا أخطاء القيادة وعدم جدوى الايديولوجية الفكرية القائمة عليها والخط الاستراتيجي، غاضة الطرف عن أنه حتى مع افتراض صحة ذلك فأن العدو بحكم خوفه على مصالحه واستماتته في الدفاع عنها لايمكن أن يترك المجال فسيحاً لحركة نموها مطرد في اكتساح مواقعه دون ان يحرك ساكناً و يقود الطريق الاخر الى النصر عندما تنجح الحركة في توظيف ذلك الاضطهاد في تعرية معايب النظام وفضح ممارساته وارتباطه ومظالمه حتى تلجئه الى وضع الدفاع عن نفسه لتبرير القمع الذي يقوم به. ومن ثم تجعل حركات المعارضة السياسية الاضطهاد جزء من استراتيجيتها فتعمد الى دفع النظام دفعاً الى ارتكاب هذا الخطأ (الاضطهاد) فتورطه بذلك شعبياً ولا سبيل الى تعريته وعزله جماهرياً دون توريطه في العنف دون أن تتورط هي فيه فيعدو الاضطهاد أقرب طريق للدعاية لفائدة الحركة

وايقاع النظام في التناقض بين مظاهر الديمقراطية التي يحرص على الاتصاف بها في الداخل و بين تورطه في العنف ضد حركة سلمية مما يجعله في وضع محرج ويحرص معه على توريط الحركة ولو في حادثة واحدة للعنف كما اشار الى ذلك مؤلف كتاب (كاريل كارلتر ماشول) ان الاضطهاد فرصة الحركة لايجاد ميزان حديد للقوى. يقول شافاز ان السجن جزء فعال في استراتيجية اللاعنف، ولاعجب أن نرى أبواب السجون في كثير من وقائع التاريخ القديم والحديث تفتح على اللاعنف، ولاعجب أن نرى أبواب السجون في كثير من وقائع التاريخ القديم والحديث تفتح على أبواب الحكم شرط أن تنجح الحركة في مواجهة تحدي الاضطهاد فتحافظ باصرار واع وعنيد على وحدتها وعلى تصاعد نضالها باستمرار وممارسة الشورى في داخلها على أوسع نطاق مهما كانت الظروف ولقد ذكر لي أكثر من واحد من رجال الحركة الوطنية أنهم كانوا يستفزون فرنسا بمختلف وسائل الاستفزاز لتوريطها في ممارسة العنف. أما بالنسبة لحركتنا الوطنية فرغم الظواهر العرضية التي سوف نتناولها فقد أحدثت تجربة الاضطهاد تحولات ايجابية لصالح الحركة على صعيد الرأي العام والقوى السياسية ظاهراً أو حقيقة والمنظمات الانسانية المحلية والدولية حتى غدت قضية الاتجاه في مركز اهتمام الرأي العام ولم تجد حتى القوى السياسية المنافسة لنا بداً من اعلان مساندتها اللامشروطة وادانتها المطلقة للنظام بينما كانت بيانات تلك الحركات قبل المحنة وحتى في بدايتها تعلن مساندة متحفظة مشككة في اهداف ووسائل الحركة مما يؤكد انه في امكان حركة مضطهدة أن تحمل تكاليف كل يوم سجن وتشريد ضرره على خصمها أضعافاً مضاعفة بالقياس الى ضررها هي. ولكن دفع ضغط الرأي العام حركات المعارضة الى اعلان تأييد ظاهري فقد بذلت أقصى الجهد في استغلال وضعنا للحصول على مكاسب من النظام بتخويفه المستمر من الشبح الاسلامي و بالتحالف معه (الانتخابات التشريعية التي تمت خلال محاكمتنا، تألب الشرائح الطلابية الماركسية خاصة في الجامعة في محاولة لاستئصاله معنوياً وجسدياً في غياب قياداته التاريخية بين سجن وتشريد)، ولقد استهدفت حملة التشكيك التي تعاونت فيها قوى النظام مع قوى المعارضة سراً وحتى في العلن (تصريح المستيري لمجلة المغرب وتصريح عاشور لنفس المجلة) فضلا عن محاولات الاستقطاب والتشكيك التي يقوم بها اسلاميون منافسون تحت سحابة ممزقة من التأييد، بهدف استغلال الموقف واحداث التمزق والتشرذم داخل الاتجاه. ولايبتعد اذا لم تقع مواجهة الوضع الداخلي بكثير من الحزم والحكمة ان تنال تلك المحاولات التي يقوم بها خصوم ومنافسون اسلاميون وغيرهم في الداخل والخارج بغاية الاستقطاب بعض النجاح في احداث الخلل والتمزق.

والخلاصة أن المحنة ليست هي بذاتها سبباً في احداث ماحصل من خلل واختلاف واضطراب رغم المكاسب التي حصلت من ورائها بل ان الاسباب السابقة عنها وهي أسباب عميقة ربما كان يحد من تفجرها بساطة المشاكل التي كانت مطروحة على الحركة قبل مرحلة التسيب وعدم الحاجة عندئذ الى مواجهة الواقع ببدائل واضحة، ووجود القيادات المؤسسة للحركة عاملة في الساحة، ورغم ذلك فقد حدث الانشقاق مما يوجب مواجهة المشاكل الحقيقية بجد أكبر من أجل

المحافظة على وحدة الحركة وقدرتها على مواجهة التحديات ولاتجدي في ذلك المعالجات الجزئية المستعجلة وتهدئة الاوشاع آنيا عن طريق استعمال النفوذ المعنوي الشخصي لبعض القيادات للقيام بمصالحات مفتعلة فقد حصل ذلك وماكان له غير مفعول وقتي وجزئي. ولايجدي كذلك احلال قيادة محل قيادة أخرى لان أسباب الداء عميقة وهيكلية وقد برزت في اوقات مختلفة جماعات لدى جماعات اسلامية كثيرة في أقطار متباينة مما يقطع ان البنيان الفكري والتربوي والتنظيمي هو السبب العميق الذي لم يعدم مفعوله وجود زعامات كبرى على رأس تلك الحركات، وهو بنيان وان حصلت فيه بعض التعديلات الجزئية او السطحية احيانا بتاثير حركات الاصلاح فجذوره مترسخة في أعماق التراث.

٢) تأثير التراث:

التراث الاسلامي هو مجموعة التفاعلات التي حدثت بين الاسلام والواقع وما أثمرته من طرائق للتفكير وأساليب وأنظمة للحياة ومسالك وأذواق للافراد والجماعات وهي آثار لا تزال تمارس تأثيراتها الايجابية حينا أو السلبية أحياناً تمارسها حتى على انكار لها وعداء، ولها قدرة هائلة على التحكم بالنجاح أو الفشل على تجربة لتغيير الواقع بحسب الموقف المتخذ منها. ونكتفي في ابراز أثر التراث على واقعنا بالتركز على بعض الاحداث والقضايا الهامة في ذلك التراث.

قضية الاستبداد:

ان الاجهاض المبكر لتجربة الحكم الثوري في الاسلام وبروز المطلق القبلي (قريش دون الاوس والخزرج من الانصار وبنو أمية دون سائر قريش وبقية المسلمين وبنو هاشم العباسيون دون سائر العرب والمسلمين الخ الصراعات القبلية في ظل الاسلام كان له أبلغ الاثر ولايزال على جميع شعب الحياة الاسلامية على تعددها، فغدا الاستبداد طابعاً مميزاً لها جميعاً بل غدا مؤسسة تعيد انتاجه في مستويات مختلفة. على المستوى السياسي أبعدت الجماهير عن السلطة ولايؤتى بها الا لاداء مراسم بيعة شكلية طوعاً أو قهراً.. وانحصر الخلاف الفقهي في ذلك في الصدد الذي يمكن أن تنعقد به البيعة حتى وصل الامر الى اعتبار الحاكم شرعياً اذا بايعه شخص واحد قياساً على عقود البيع والتجارة.. ولم تطرح قضية مدى شرعية الحكم الوراثي حتى من طرف كبار الفقهاء.. وعلى المستوى الثقافي العقائدي سيطرت البحوث الكلامية التي ركزت عقلية الجبر وسلب الانسان كل ارادة واختيار لصالح الالوهية بزعمهم فسادت الاشعرية وهي جبرية مغلقة بأقنعة غامضة.. وعلى المستوى التربوي ساد التصوف الذي عزف طويلا أنشودة الغناء كهدف أعلى للتدين فسحر الناس وطوح بهم في عالم الاوهام.. وعلى المستوى الاسرى تركزت عقلية الاستبداد وافناء شخصية الزوجة والاولاد حتى غدت الاسرة أفضل مؤسسة في مجتمع الاستبداد تمثيلا وانتاجاً له. وعلى المستوى الاقتصادي عبثت ايدي أمراء الجور بالقطاع العام وهو كل أرض الفتوحات (ارض السواد أو العنوة) وأقطعوها لعملائهم وأقارهم وقادة جندهم فظهر اسلوب الخماسة والرباعة الخ..

ب/ الاغراق في القضايا اللاهوتية الغيبية

التي شغلت الامة ببحوث ماورائية لاطائل من ورائها علاقة الذات بالصفات، خلق القرآن، مكان وجود الله في جهة أم في غير جهة؟ الله يرى

أم لايرى؟ كيف أسري بالنبي بالروح فقط أو بالروح والجسد؟ الخ وهي بحوث كان طبيعياً أن تنشأ في ظل الاستبداد و بتشجيع منه لصرف الجماهير والمفكرين عن واقعهم البائس وكان من الطبيعي أن يصل العقل المسلم في متاهة تلك البحوث وان لايصل فيها الى وفاق لتجاوزها لمجال العقل، فكان ذلك سبباً آخر جانب التمزق والانشقاق على المستوى السياسي أن يقع التمزق على المستوى العقائدي وتظهر عشرات من الفرق كل منها يزعم أنه يمثل الحقيقة المطلقة و ينفيها عن الآخر، وكان ذلك النفي الفكري مرحلة للنفي الجسدي للآخر (الصراع الدموي بين السنة والمعتزلة، و بين السنة والشيعة و بين السنة والخوارج و بين المذاهب السنية نفسها) فكان ذلك كله أسباباً عميقة لتجذير التشرذم في البيئة الاسلامية حتى عصرنا هذا.

ج/سيادة التقليد وغياب الاجتهاد

وهو ثمرة لتضخم الماضي على حساب الحاضر ــ وهو ثمرة من ثمار مجتمع الاستبداد حيث تتحول الجماهير الى قطعان تساق من طرف السياسي وشيخ الطريقة وفقيه المذهب، تساق بدون وعي، مشدودة الى الماضي ــ فهناك الانتصارات العسكرية الرائعة والازدهار الفقهي والعلمي حيث تكونت المدارس الفقهية والكلامية الكبرى فماذا للحاضر أن يضيف أو يعدل وقد اكتملت الحقيقة في الماضي غير بذل أقصى الجهد في فهم تلك الآثار ومحاولة ايجاد مشابهة كلما عرضت حادثة جديدة بينها و بين حادثة مرت في الماضي وتناولها فقيه لنقل احكامه وتطبيقاتها على الواقعة الحاضرة. فلا عجب أن تواجه بعد ذلك فكرة جديدة حملات من التشو يه (حرق كتابات ابن حزم والغزالي وابن تيميه الخ..) لاجهاضها بالانصراف عن مناقشتها بجد ومهاجمة صاحبها لترميه بالجهل بالدين وسوء القصد والجرأة على السادة العلماء وحتى بالعمالة للاعداء، بدل التوجه الى الفكرة وتمحصها والعمل على تطويرها واثرائها وأنى للقوى المحافظة أو المستفيدة من استقرار الاوضاع أن تدرك جديداً في تلك الفكرة وهي مشدودة بقوة الى الماضي مستسلبة لحسابه أبسط أساليب مقاومتها للمجددين: سخريتها بهم بأنهم «علماء آخر الزمان» أنها تشيد بالماضي لقمع الحاضر وترفع أعلام الماضي لتقزيم أعلام الحاضر، ولعجزها عن مصادمة الفكر تصادم الشخص واذا تناولت الفكرة أثارت حولها زوابع من الانفعالات وحملات تشو يه عاطفيه.

ومن الطبيعي مع سيادة التقليد أن يختفي الفكر وأن يختفي الابداع وأن يستعاض بالمشاكل الحقيقية الواقعية بمشكلات وهمية (الصراع بين السنة والشيعة. المذهبية واللامذهبية الخلف أم السلف؟ علي أم معاوية؟) و باختفاء الفكر تختفي امكانية الحوار الجاد.

٣) فشل المسلمين في ادارة الحوار بينهم:

ان الاسلام اعتبر الخلاف أمراً طبيعياً بين البشر اراده الله ليؤدي وظيفة معينة في حياتهم هي تمتعهم بالحرية وتحمل مسؤولية وجودهم واثراء الحياة بمواقفهم المختلفة. فالله اذ جعل الانسان خليفة فما يمكن ان تتحقق تلك الخلافة بدون حرية وارادة وعقل أناط بها مسؤولية الانسان. فكان الاختلاف والتميز بذلك حقاً شرعياً للانسان ومنعته بأي ضرب من ضروب الاكراه اعتداء فاحشاً على

الكيان الانساني ومصادمة لغرض أساسي من أغراض الخلق (ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة) ولكنه لم يشأ أن يجعلهم رأياً واحداً وعقيدة واحدة وقالباً واحداً ونسخاً متطابقة بل أراد ان يتميز كلهم بشخصية متفردة بخصائصها تساهم من موقعها في اثراء الحياة (ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك. ولذلك خلقهم) كما يقول الشيخ الطاهر بن عاشور — للتعليل لانه لما خلقهم على جبلة قاضية باختلاف الآراء والنزعات وكان مريداً لمقتضى تلك الجبلة كان الاختلاف علة غائية وكذلك خلقهم.. ولكن الله سبحانه وتعالى — كما يعلق الشهيد سيد قطب يجب أن تبقى هذه الاختلافات المطلوبة داخل اطار واسع عريض يسعها جميعاً هو التصور الايماني الصحيح الذي ينفسح حتى تضم جوانبه شتى الاستعدادات والمواهب والطاقات فلا يقتلها ولايكبتها ولكن ينظمها و ينسقها و يدفعها في طريق الصلاح.. ومن ثم لم يكن بد أن يكون هناك ميزان يفيئون اليه (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والحكمة ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) و بغير هذا الحق الواحد و بغير الانتهاء الى حكمة بلا اعتراض بغيرهذا كله لا تستقيم الحياة ولايقوم في الارض السلام (الظلال ص ٢١٥ الى ٢١٦) فالاختلاف في طبيعة البشر أصيل وهومراد من الله في استخلاف الانسان ولكنه يغدو مهدداً لوحدة البشرية وسلامها بالتمزق والدمار اذا لم يلتزم بالاطار العام للاسلام وهويتألف من أصول الدين — مما لايجوز الاختلاف فيه — وهي جلة عقائده وتشريعاته وقيمه مما هو صريح معلوم من الدين بالضرورة، صرحت به نصوص الكتاب صريحاً واضحاً، تستوي في ادراكه العقول السليمة، أما المتشابه وهو ماالتبس معناه فيرد الى الراسخين في العلم (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) فالاختلاف اذا حق يعد كل انتقاص منه من أجل حمل الانسان على رأي واحد أو مذهب واحد اعتداء على الطبيعة الانسانية وافقاراً للحياة وتشتيتا للطاقات.

ولكن اذا كان الاختلاف حقاً ثابتاً فوحدة الصف واجب بأمر مباشر من الله سبحانه (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) فالنجاح في مواجهة التحديات لايتحقق الا بصف موحد وان اختلفت اجتهاداتهم في فروع الدين واساليب التطبيق، فهم ملتقون على أصول الدين مما هو صريح الكتاب (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) والاختلاف اذا تحقق الالتزام بما هو صريح واضح في الدين لايشكل أبداً عقبة في طريق وحدة الصف الاسلامي بل هو ثراء له. انها وحدة في تنوع وتنوع في وحدة مما يجعل مثل هذا الاختلاف رحمة اذ تجتمع - بقبوله - شتى الطاقات وتساهم كلها باختلاف مواهبها في اثراء الحياة وتقدمها فيغدو المختلفون وكأنهم يتنافسون في لعبة متفقين على قواعدها بعيداً عن تمذهب صلب وتعصب وفرض ألوهية مذهبية أو حزبية أو قومية.

«ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك» فليس كل اختلاف مذموم، فهناك مختلفون مطرودون من رحمة الله أولئك الذين قادهم اختلافهم الى أن اصبحوا شيعاً متعادية متنابذة، وهناك مختلفون مرحومون أولئك الذين لم يحل اختلافهم دون توحدهم واجتماع كلمتهم ضمن اطار الحرية اطار

أصول الاسلام وتعاليمه الثابتة، وما أوسعه من اطار، والتزموا في ذلك الاطار بآداب الحوار الاسلامي.

انه ليس غريباً أن نختلف بل من الغريب والخسار أن لانختلف وقد تنوعت وتعقدت مشكلاتنا وحاجاتنا والناس كانوا أمة واحدة لا أختلاف بين افرادها في العهد البدائي عندما كانت حاجاتهم بسيطة فلما تعقدت مشكلاتهم بتطور علومهم وحاجاتهم لم تعد الفطرة كافية في هدايتهم لحل تلك المشكلات فبعث الله النبيين... أن المشكل هو أن يهدد اختلافنا وحدتنا و يميع اتفاقنا و يشل قدرتنا على التقرير في أمهات قضايانا وأن يتعكر حتى صفو علاقاتنا الشخصية، علاقات الاخوة الاسلامية.

اختلف المسلمون وكان في خلافهم من جهة ثراء كبيراً لحضارتهم، ولكن من جهة اخرى ولاسباب كثيرة منها سرعة اجهاض تجربة الحكم الشوري وقيام الملك المفروض، وتكون الثقافة الاسلامية في ظل الحكم الاستبدادي فشلوا الى حد كبير في ادارة الحوار بينهم.. نجحوا في السقيفة في ادارة حوار رائد أرسي على أساسه نظام الخلافة الشوري، ولكن مبدأ الشورى مورس على نحو تغلب عليه العفوية و يعتمد الى حد كبير على نوعية الحاكم لاعلى تنظيمات ومؤسسات ولذلك ما أن تغيرت نوعية الحاكم — على عهد سيدنا عثمان — بسبب ضعف الرجل وتعقد المشاكل حتى عجزت العفوية عن مواجهة الامر وسهل في فترة لاحقة على المستبدين أن يفرغوا الشوري من محتوياتها و يبعدوا الجماهير عن الحكم ومنذ عهد مبكر استبدلت الشوري، أي حكم الشعب كأساس بالقوة كأساس للحكم، وغدا السيف هو أسلوب الحوار واضطرت المعارضات الى اسلوب السرية والعنف وقامت المذاهب الكلامية تبرر في كثير من الاحيان نمط الحكم القائم وتفكير معارضيه، وتفعل المعارضة نفس الفعل.

وكان من أسباب فشل الحوار عدم تفريق المتحاورين في كثير من الاحيان بين الحق الواحد المتمثل في الاسلام و بين الفكر الاسلامي وهو مجموعة الفهوم التي يستنبطها البشر من خلال الحوار بين الاسلام والواقع، مما يجعل صاحب الدولة يعتبر دولته تجسيداً للحق فمعارضوها مارقون كفرة، وصاحب المذهب الكلامي يعتبر مذهبه هو الحق فيميل الى تفسيق أو تكفير الاخرين ولقد اورثت تلك الصراعات بين الدول والمذاهب وتنافيها المتبادل صراعات متخلفة داخل المجتمع الاسلامي بين العروش والقبائل والطرقيات صراعاً هو بأستمرار تناف مشترك تمارس فيه كل الاساليب اللاأخلاقية والعدوانية وكل ضروب الدماء والتآمر والعنف واستقرت في ظل مجتمع الاستبداد ثقافة للاستبداد خلاصتها أنت نسخة مني أو طوع أمري والا فأنت عدوي ولا وسط بين قرني التنافي.. فلا عجب وقد نجحت الحركة الاسلامية المعاصرة في استقطاب جماهير غفيرة وأن تغدو أملها في العزة والحرية أن تفشل في اجراء الحوار داخلها لأنها الى حد كبير استمرار لمجتمع الاستبداد حيث غدا الحوار شحنات انفعالية تتهيأ لتصفية بعضها على الجبهة وأن يأخذ مسار تطورها اتجاهاً واحداً من الوحدة الى التشتت — خلافاً لمسار التطور الغربي من التشتت الى المزيد من التوحد — فالقبائل في أوروبا تطورت نحو الوجود القومي

وتطورت هذه نحو الوحدة الاوروبية ووحدة المجتمعات الليبرالية ووحدة الغرب قاطبة بالمعنى الحضاري ضد الشعوب الاخرى... وذلك هو مسار العقل واسلوب عمله: سير متواصل من الكثرة الى الوحدة، الى وحدات أرق (قانون نيوتن في الميكانيك الحرارية ــ نسبية انشتاين كقانون القوانين) ذلك هو شأن التطور عندما يحكمه العقل حول مضامين فكرية أما عندما يحل الانفعال محل العقل بسبب غياب الفكر والاكتفاء بترديد الماضي أو رفع شعارات، فان الانفعال هو اسلوب الحوار، والسباب والشتائم والتراشق بالشعارات والانتصار للزعيم الفلاني أو الفلاني أو لحزب أو ثورة ضد حزب أو ثورة أخرى هو مضمون الحوار، عندئذ كيف يمكن للحوار أن يثمر غير وجع الرأس والتنفيس عن الاحقاد والكبت والمزيد من تمزيق الصف والتنافر المتواصل والاسراع الى الحلول السهلة القاتلة: حملات التشهير والافتراء والطرد والتجميد ورفع أعلام جديدة والتنويه بشيوخ جدد للقبائل الجديدة وتهيأ الجميع لساعة الحسم غاب الحوار كما يقول حسن حنفي وأصبح الخلاف في الرأي انشقاقاً وأصبح التصلب سمة في الممارسة وجرت العادة على تصنيف الاخرين في قوالب جامدة يستحيل معها الحوار بالرغم مما كان لهذه الجماعات المغلقة من شعبية وغاب الحوار الديمقراطي الحر فسهل الانشقاق عليها من أجنحتها المختلفة فتذهب الطاقات في الدفاع عن الشعارات او الاشخاص او النماذج ولو كانت علاقتها بالواقع المراد تغييره بعيدة النسبة و يغدو الفكر مجرد عواطف وجدانية تتطاير فوق الواقع وتحجبه، وعادة مايكون الحوار دفاعاً عن النفس أو المذهب ورغبة في الشهرة ومزايدة واعلاناً عن الذات، والدفاع يرتبط بالجدل والمهاترة والانفعال. الجدل لايهدف الى الوصول الى الحقيقة بل يهدف الى الانتصار على الخصم، وبدل أن تتوحد جهود الجميع في عمل مشترك تتعارض وتتنافس و يلغي بعضها بعضاً.. المجادل لايفكر بل يريد هزيمة الاخر ولو كان على حساب موضوعه ومنطقة. المجادل لايفكر بل يعارك ويحارب فيضيع العقل وتسود العاطفة بسبب غياب الفكر (حنفي ١١٥ ــ ١١٦ التراث والتجديد) وصاحب الفكر كما يقول أحمد أمين في فيض الخاطر هادىء مطمئن يدلي برأيه يعرضه عرضاً منطقياً مسنداً الى العقل والبرهان و يستمع الى معارضه بانتباه شديد ورغبة أكيدة في ان يجد لديه تصحيحاً لرأيه وتمحيصاً له ليقينه بمحدودية علمه وعقله ونسبية رأيه بينما صاحب العقيدة متحمس منفعل لايرى الحق في غير عقيدته فمن يجادله فيها هو عدوه الالد وخصمه المبطل. ومالانفعالاتنا الا تعبيراً عن خطأ كبير هو تحول «آرائنا» ان لم تكن شعاراتنا في نفوسنا الى عقائد هي عندنا الصورة الوحيدة للحق. وتحول محاورنا أو مخالفنا الى عدو وخصم لا الى رفيق في الطريق. كثيراً مايتحول ذلك المخالف لنا في مجرد وجهة نظر لاعقيدة تتعلق بكفراً أو ايمان يتحول في أعيننا الى صفحة سوداء كالحة لانور ولاخير فيها، فنصب عليها جام غضبنا وحقدنا وكبتنا وكل مافي جعبة تخلفنا من اتهامات في الدين والخلق. انه مائع أو عميل أو متطرف أو فاسق أو خائن وحتى سارق، وننسى في سكرة الانفعال وحضرة الجدل أخلاقيات الاسلام في التعامل التي تمنع اعتماد الظن وان يكن غالباً في الحكم على الاشخاص والتشهير بهم أو اغتيابهم وان كانوا مخالفين وبغضهم بدل الرفق بهم واعانتهم على الشيطان والتوجه الخالص في صلواتنا

الى أن يهدينا واياهم الى الحق وان يبارك في اخوتنا وأن يقضي مانعلم ومالا نعلم من حوائجهم وأن نسعى عملياً في ذلك، كما ننسى في غمرة الشيطان الجدلية المتخلفة أن اليأس من الانسان يصادم منهج الاسلام ودعوته كما يصادم كل منهج ثوري، فأخص ما يميز الثوريين على الطغاة الثقة في الانسان، في الشعب وقدرته باستمرار مهما بلغ فساده على التحول (اللهم أهد قومي فانهم لايعلمون) ان اليأس من الانسان والمراهنة على تحطيمه منهج يتعارض مع كل فلسفة للدين أو للثورة، وانما هو ثمرة غياب الفكر وكارث من مواريث مجتمعات الاستبداد، اذ اليأس من الانسان هو الخطوة المبشرة لاعدامه وتصفيته جسدياً والحسم معه. واليأس من الانسان هو سلاح القوى الرجعية والمحافظة والمستبدة تقمع الجماهير وتمارس العنف المادي والمعنوي وتراهن على الاساليب العسكرية والبوليسية لقهر الجماهير وفرض حجة القوه علياً المخالفين لتقيم حكم القوة على أنقاض حكم العقل والشرع واليأس من الناس هو يأس من رحمة الله وشك في قدرته «انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون» خصلتان حبيبتان للرحمان حسن الظن في الله والثقة في الناس كما ورد في الحديث، وكيف يراودنا الامل في هداية نصراني أو يهودي أو شيوعي واللقاء معه في صف الايمان والنضال و يستبد بنا اليأس حتى من مجرد امكانية الحوار فضلاً عن اللقاء مع اخوان لنا تجمعنا واياهم محبة الايمان؟ هل من يقظة أيها الناس؟

٤) الانفصال عن الواقع:

وان من أسباب فشل الاسلاميين في ادارة الحوار بينهم اغترابهم عن الواقعية يهيمون مرة وراء ليلاه. ولكنهم تنبهوا أخيراً الى أن تغيير ظاهرة لايتم الا بمعرفة قانونها وذلك لايتم الا بتحليلها وفهمها

مثاليات تاريخية ونماذج تراثية يحلمون ببعث رفاتها وقد مضت وتحللت في رميم و يذو يون مرة حد الفناء في تجارب ونماذج كان أهم سبب انجاحها قدرتها على فهم واقعها وحسن التفاعل مع معطياته، ولكن نجاحها يغري المتحمسين لمحاكاتها شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا معرض لم نتردد في دخوله و ينجذب آخرون انجذاباً صوفياً نحو عالمية مجنحة لا تعدو أن تكون طموحاً أو حنيناً الى خلافة منقرضة وليس لها من الاسس الموضوعية مايؤهلها للتطور والفعالية وتحاول تلك العالميات أو التجارب الجذابة بل يحاول أصحابها جهدهم اسقاطها على واقع مختلف دون دراسة علمية لذلك الواقع الذي نالهم و ينال الكثير بسبب طموحهم الى تغييره، فكان حرياً بهم أن يحملوا ذلك الواقع منطلقهم تحدد اوضاعه ومصالحه نمط علاقتهم مع كل التجارب والنماذج والعالميات. لقد هامت قبلنا وراء العالميات حركات معارضة كثيرة فما تقدمت خطوة نحو الواقع وفهمه والتفاعل به وتغييره، ومازادها هيامها وراء النماذج العالمية غير مزيد من التمزق والتشتت والصراع الداخلي وتهميش كيانها، والواقع من حولها يتطور وحركات أخرى تبرز وهي مشغولة بالدفاع عن تلك العالميات ومحاولة اسقاطها على الواقع يغني كل منهم على بعيداً عن كل أفكار مسبقة، فكثفت دراستها للواقع والتحامها به فكان ذلك عاملا فعالاً في اعادة الاعتبار لها واتجاهها نحو توحيد صفوفها واعتبار العالميات كلها مجرد تجارب للاستفادة وليست نماذج للاقتداء ان الفكر الفعال لايولد الا من خلال تفاعله مع الواقع، وانه لاوحدة الا على صعيد الواقع، اعطاء حاجاته ومقتضياته الاولوية لاينازعها أولويتها الا صريح الوحي ولاأمل في بناء ايديولوجي استراتيجي اسلامي الا من خلال استيعاب كامل لمعطيات ذلك الواقع.

مهارة ضياء الحق في جمعه بين المستحيلات

مهارة ضياء في جمعه بين المستحيلات

أعلن الجنرال ضياء الحق بأن الانتخابات القادمة في باكستان ستكون شبهاً معاداً لانتخابات سنة ١٩٧٧ ففي خلال جولة جماهيرية له في السند أكد على أن إعادة مثيل انتخابات سنة ١٩٧٧ هو من المناسب بمكان لأن نتائج تلك الانتخابات كانت مرفوضة من قبل الشعب . لقد قوبلت هذه الملاحظات الجنرالية الازدراء والسخرية من قبل العالمين بالامور في البلاد، فالانتخابات الاسلامية المقترحة لا يمكن أن تكون طبقاً لأصل انتخابات ١٩٧٧ لأن اجراءها يتم تحت جهاز انتخابي منفصل وعلى أساس لا حزبي لانتخاب أمير. بينما كانت انتخابات ١٩٧٧ تعم جميع البالغين ضمن منهجية تعدد الاحزاب لانتخاب رئيس وزراء. ولكن عسكريتارية الجنرال بلغت حماقتها حد الجمع بين الاشياء المستحيلة مثل مساواة حكم العساكر (الجيش) بالاسلام ذاته .

وقد تلفق انتخابات من نوع ما . تدرج الان حكومة الاحكام العرفية نحو عقد انتخابات في سنة ١٩٨٥ برعاية الجيش والمحاكم . واستقطعت ميزانية لسنة ١٩٨٤ـ ١٩٨٥ وأفرج عن بعض المعتقلين السياسيين مثل المارشال الجوي المتقاعد أصغر خان من حزب تحريك استقلال بعد عدة سنوات من الاعتقال . واستدعي أعضاء مجلس



الجنرال ضياء الحق

الشورى والمجالس المحلية ولجان الزكاة والعشر بالاضافة الى ناظمي الصلاة الذين تم تعيينهم حديثاً استدعي كل هؤلاء ليشاركوا في الانتخابات كرجال أتقياء يخشون الله .

ستجري الانتخابات تبعاً لمبادىء الاسلام حسب رؤية ضياء الحق : و يعني ذلك استثناء عموم البالغين : أي إن النساء لا يحق لها التصويت وغير المسلمين سيصوتون منفصلين .

تقدمت لجنة أنصاري التي أوكل اليها دراسة «أسلمة الانتخابات» تقدمت بتوصية مفادها أن النساء يجب أن ألا يسمح لهن بالتصويت وفي حال السماح لهن بذلك فيجب أن يصوتن للمقاعد

المخصصة للنساء فقط . وهذا «الاجتهاد» اتخذ ليوافق دستور سنة ١٩٧٣ مع أن الدستور المؤقت لسنة ١٩٨١ نسخ ذلك الدستور ومعه السلطات القضائية .

في برنامج الانتخابات والحكومة «المؤسلم» لا يتراءى لضياء دور لاحزاب معارضة . وهويؤكد «لا يوجد مفهوم أحزاب معارضة في الاسلام» وهكذا فان جهاز الحكم في الاسلام مبني على أمير في القمة منتخب لصفة فيه والذي يعاونه هيئة مستشارين تسمى «شورى» فيصبح ـ والحال هذا ـ واجب على الناس أن يعضدوا الاميرما دام تقياً و يتبع القرآن والسنة .

ولا تسمح فلسفة الجنرال بعزل الاميرمتى تم «انتخابه» من قبل مسلمين متقين خاشعين .

ومسألة المعارضة غير واردة لا في مجلس الشورى ولا في أي حزب سياسي ليقوّم الامير. والذي تم في هذا الجهاز الجديد من الانتخاب والحكم هومنهج مضمون لبقاء ضياء في سدة الحكم تحت وخلف مظهر إسلامي .

و يبقى على المرء أن يعجب لم يكلف ضياء نفسه عناء الانتخابات؟ فاذا كانت التقوى المؤهل للحكم فانه اكتسب وكسب هذه الأهلية وصولجان القوة في يديه . وفي هذه الحالة فالناس والشعب والجماهير واجب عليها أن تدعمه وتشد من عضده ضمن الجهاز الاسلامي المتخيل .

فالجنرال ضياء وجيشه مضمون على البقاء بانتخابات أو بدون انتخابات .

مسلم ميديا

الاخوة قراء الطليعة الاسلامية

نحيط الاخوة الذين يرغبون بمراسلة الطليعة الاسلامية إن عنوان المجلة في الولايات المتحدة، قد تغير وإن العنوان الجديد هو:

P. O. BOX 33807
Raleigh, NC 27606
U.S.A.

علما باننا سنستمر في استلام الرسائل على العنوان القديم ولمدة شهرين من الآن حتى نضمن وصول رسائل الأخوة اللذين ارسلوا رسائلهم على العنوان القديم.

«الطليعة الاسلامية»

تحريم العصبية ومحاربة الاسلام لها

لقد خلق الله الناس من نفس واحدة، وخلق منها زوجها فتكاثر الناس حتى اصبحوا يملؤن الارض وكان الله سبحانه وتعالى يرسل الرسل الى الأقوام والشعوب ليعرفوهم بخالقهم وليجعلوا الرابطة بينهم رابطة عقدية تقوم على الاخاء في الله وليس على العصبية، حتى اذا جاء الاسلام ارسل الله محمداً الى الناس كافة عربيهم وعجميهم واسودهم وابيضهم وغنيهم وفقيرهم وزعيمهم ووضيعهم ثم دعاهم الى التآخي والتعاون وجعل ميزان التفاضل بينهم هو التقوى.

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم»[1] ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين بلال الحبشي وخالد المخزومي وبين صهيب الرومي وأبو بكر القرشي وجعل سلمان الفارسي من آل بيته عليه الصلاة والسلام فقال: (سلمان منا آل البيت) فتكون مجتمع المدينة من هذا المزيج المختلف بين الأجناس والألوان فأصبحت الرابطة هنا رابطة عقدية، بعكس رابطة الجاهلية التي كانت تقوم على العصبية القبلية والقومية.

ولهذا قاتل الرسول وصحابته زعماء العرب في الجاهلية عندما أعلن هؤلاء الحرب على الاسلام، ولذلك قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف.

فلو كان للقومية اعتبار في دين الله لما قتل الرسول عليه الصلاة والسلام هؤلاء وهم زعماء القومية العربية، ولما آخى بين من كانوا مستعبدين في الجاهلية من شتى الاجناس وبين ابناء العرب وزعمائهم ممن دخلوا في دين الله.

فالاسلام يساوي بين الناس ويحارب العصبية حرباً لا هوادة فيها وانه من المعروف ان من أسباب انتشار هذا الدين في الارض ودخول الناس فيه افواجاً مساواته بين الناس فأهل جنوب شرق آسيا مثل اندونيسيا وماليزيا دخلوا في الاسلام لما رأوا عدله ومساواته وعدم تفريقه بين جنس وجنس ولون ولون.

اذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء لكل البشر لا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى وصدق الله العظيم حيث يقول: «وما أرسلناك الا كافة للناس». (سبأ آية ٢٨)، وحيث يقول: «وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين». (الانبياء آية ١٠٧). هذا وان الصليبيين عندما أخرجوا مدحورين من ديار المسلمين، بعدما احتلوها في الحروب الصليبية



ورأوا أن المسلمين قد توحدوا تحت قيادة رجل مسلم ليس بعربي، دون أي اعتبار للناحية القومية وان المسلمين قاتلوهم ككفار مغتصبين لارض الاسلام، اقول ان الصليبيين عندما اخرجوا من ديار المسلمين مدحورين أخذوا يفكرون كيف انتصر علينا هؤلاء ولماذا هزمنا أمامهم ونحن اكثر منهم عددا وعدة واخيرا عرفوا سر نصرنا وانه يكمن في ديننا وعقيدتنا التي توحدنا وتجمعنا فأخذوا يتآمرون على هذا الدين عن طريق المبشرين والمستشرقين والذين كانت وظيفتهم بث الأفكار المسمومة بين ابناء المسلمين حتى يرتدوا عن دينهم ويصبحوا فريسة سهلة أمام الغرب الصليبي الكافر ولذلك ركزوا جهدهم على انشاء الجمعيات القومية العنصرية بين ابناء دولة الخلافة العثمانية حتى يقضوا عليها وهي التي كانت تجمع المسلمين تحت لواءها فإذا تمكنوا من هدم الخلافة ابتلعوا ديار المسلمين قطعة قطعة.

ولابد لنا هنا من بعض التفاصيل المتعلقة بهدم الخلافة حتى نتبين أسلوب الكافر في هذا الهدم ونعرف كيف وصلنا الى ما وصلنا اليه اليوم ومن هم البارزون في عملية الهدم.

عندما بدأت جيوش المبشرين تتدفق على بلاد المسلمين أقاموا لهم مركزاً في مالطة ثم انتقلوا الى بلاد الشام وحاولوا ايجاد حركات تبشيرية ولكن نشاطهم كان محدوداً جداً، كتأمين بعض المدارس الصغيرة ونشر بعض الكتب الدينية ثم طرد معظمهم من البلاد وأغلقت مؤسساتهم ولم يعد لهم وجود إلا في مالطة حتى سنة ١٨٣٠م حيث اسس اول مركز للتبشير في بيروت بعد صعوبات جمة. وكان نشاطهم محصوراً في الدين، ولم يتعداه الى التعليم. وفي سنة ١٨٣٤م انتشرت

البعثات التبشيرية في سائر بلاد الشام[١] ففتحت كلية عنتورة في لبنان ونقلت الارسالية الامريكية مطبعتها من مالطة الى بيروت لتقوم بطبع الكتب ونشرها[٢] وكان هناك مبشراً امريكياً اسمه (ايلي سميث)[٣] نشيطاً نشاطاً ملحوظاً، فتح هو وزمرته مدرسة للاناث ثم جاء ابراهيم باشا وطبق نظام التعليم في سوريا كما في مصر تماما[٤] وكان هذا النظام مأخوذاً من برامج التعليم في فرنسا وهنا سنحت الفرصة للمبشرين ليعملوا بجد ونشاط وشاركوا في الحركة التعليمية مشاركة ظاهرة ثم حدثت فتنة بين الدروز والنصارى أدت إلى إرغام الدولة العثمانية من قبل الإستعمار على فصل سوريا عن لبنان على ان يحكم لبنان من قبل نصراني لبناني ويعاونه مجلس اداري يمثل السكان[٥] وفي هذا الوقت أخذ المبشرون يقومون بأعمال تختلف عن سابقتها فلم يكتفوا بإيجاد مدارس ومستو صفات ومطابع ودور تبشير وإنما تعدوا ذلك الى تأسيس الجمعيات لان نشاطها كان اكبر في ضرب العقيدة الاسلامية.

وفي سنة ١٨٤٢م تشكلت لجنة لتأسيس جمعية علمية تحت رعاية الارسالية الامريكية ووفق برنامجها وقد سارت هذه اللجنة في طريقها مدة خمس سنوات حتى تمكنت سنة ١٨٤٧م من تأسيس جمعية سمتها (جمعية الآداب والعلوم) وكان أعضائها : ناصيف اليازجي وبطرس البستاني من لبنان (وإيلي سميث وكورنيكيوس فان ديك) من الامريكان والكولونيل (!) تشرشل من الانجليز، وبالرغم من النشاط الجبار المتواصل لهذه الجمعية فإن نتائج نشاطها لم تكن بشكل مرضٍ ولم ينضم لها الا النصارى ثم انتهت الجمعية بعد خمسة سنوات من تأسيسها[١] ثم تأسست جمعية جديدة على اسلوب جديد روعي فيه ان لا يدخلها احد من الاجانب، فقد كان مؤسسوها كلهم عرب، وسميت باسم (الجمعية العلمية السورية) واستطاعت بفضل ظهورها بالمظهر العربي ان تضم لها مئة وخمسين عضواً وكان من بين اعضاء ادارتها شخصيات بارزة من العرب منهم محمد ارسلان من الدروز وحسين بيهم من المسلمين، وابراهيم اليازجي وابن بطرس البستاني من النصارى وكان برنامجها التوفيق بين الطوائف، وبعث القومية العربية في النفوس،

وفي سنة ١٨٧٥م تألفت في بيروت (الجمعية السرية) واخذت هذه الجمعية تركز نفسها على فكرة سياسية فأخذت تبعث فكرة القومية العربية، والذين قاموا بتأسيسها هم خمس شبان من الذين تلقوا العلم في انجلترا البروتستانتية أسسوها في بيروت ثم استطاعوا ان يضموا اليها عدداً قليلاً ثم اخذت هذه الجمعية توزع منشورات تدعو فيها الى استقلال العرب السياسي وتثير العداء للدولة العثمانية وتسميها (تركيا) وتعمل لفصل الدين عن الدولة وجعل القومية العربية هي الاساس[٢].

ومن يتتبع تاريخ هذه الحركات يجد أنها كلها من عمل الإستعمار ويدل على ذلك ماكان يرسله قناصل الدول الغربية لحكوماتهم حول نشاط هذه الجمعيات.

وكان من نتائج هذا النشاط التبشيري أن

اصبح كثير من المثقفين لا يثقون بمجتمعهم ولا بدينهم ولا بفكرهم ولا بحضارتهم واخذوا يعملون على فصل الدين عن الدولة وترديد شعارات القومية والوطنية وكذلك كان لها أثر سياسي اذ ان كثيرا من عملاء الاستعمار قد انتجتهم معامل التبشير وكثيرا من الحركات السياسية التي قامت على أساس وطني او قومي انما افرزتها غُدد هذه الجمعيات.

وبعد أن عملت الدول الاستعمارية بتخريب العقيدة من الداخل عن طريق التبشير اطمأنت الى ان الجسم قد تهلهل فشنت حربا ضروسا ضد الخلافة واشعلت فتنا قومية داخل بلاد المسلمين فهذه روسيا تحارب الدولة العثمانية وتقتطع جزءاً من ارضها فقد اخذت مدينة ازوف وشبه جزيرة القرم، واستولت على جميع الحوض الشمالي للبحر الاسود، وانشأت مدينة (اسباستبول) قاعدة لها في شبه جزيرة القرم ثم اخذت تركستان ثم اكملت احتلالها للقفقاس جميعه.

ثم تحتل فرنسا الجزائر وتونس، وبريطانيا تحتل الجنوب العربي واسبانيا تحتل المغرب بالاشتراك مع فرنسا وكذلك حركت هذه الدول شعوب البلقان ضد الدولة العثمانية بغية إضعافها فقامت ثورات البلقان واليونان وانفصلت هذه المناطق ثم إنحسرت سلطة الدول العثمانية عن معظم جزر البحر المتوسط مثل قبرص وكريت[١].

وكذلك ساعدوا على ايجاد احزاب قومية وحركات تحمل افكار الكفر بغية ايجاد الانقسام بين المسلمين مثل حزب الاتحاد والترقي وحزب الاستقلال العربي وحزب العهد وغيرها من الحركات والاحزاب.

وكانت معظم الاعمال السياسية ضد الدولة تتم في العاصمة اسطنبول فيما أهم الاعمال الفكرية تتم في بيروت، وافظع ما تم في اسطنبول هو قيام جمعية الاتحاد والترقي فقد تأسست هذه الجمعية بادئ الامر في باريس وأسسها بعض الشباب الاتراك الذين تشعبوا بالافكار الغربية وامعنوا في دراسة الثورة الفرنسية وقد تأسست كجمعية سرية وكان زعيم هذه الجمعية محمد رضا بك، وكانت فكرته هي نقل الحضارة الغربية الى تركيا وقد أسس لها فروع اخرى في برلين وسلانيك واسطنبول وكان مركز باريس منظماً تنظيماً دقيقاً وبرنامجه متطرفاً وكانت لهم جريدة اسمها «الانباء» تهرب الى اسطنبول مع البريد الاوروبي وتوزع هناك سراً وكانوا يصدرون نشرات سياسية تهرب بنفس الاسلوب.

وأما فرع برلين فقد كان مؤلفا من المعتدلين ومن وزراء الدولة السابقين او كبار موظفيها ذوى المواهب السياسية وكانوا يريدون الاصلاح وان تنظم الدولة كما نظمت المانيا أما فرع سلانيك فقد كانت الاغلبية الساحقة من اعضائه من الضباط المتعلمين اصحاب النفوذ القوى في الجيش وكانوا يعدون العدة للثورة لانهم رأوا ان سبيل القوة هو أيسر السبل واقصرها للوصول الى الحكم وتحقيق الأهداف وانضم اليهم بعض المشايخ فازدادوا قوة كما انضم اليهم صغار الضباط مثل طلعت الذي اصبح فيما بعد رئيسا للوزارة ومع كل هذا فقد كانوا خاضعين لمركز باريس يوجههم

بالنظريات والاراء الغربية ويبعث فيهم الميل الى النضال والتفاني .

وكانوا يعقدون اجتماعاتهم في المحافل الماسونية السرية التي كانت تؤيدهم وتساعدهم وكان كثير من الماسونيين اعضاء في هذه الجمعية وقد اخذت هذه الجمعية تعقد الجلسات السرية وتهيئ للثورة وظلت كذلك حتى سنة ١٩٠٨م حيث قامت بانقلاب ضد السلطان عبد الحميد حين تحركت قوات الجيش من سلانيك وحاصرت قصر السلطان ونجح الانقلاب وبذلك ظهرت هذه الجمعية الى اعين الناس بعد ان كانت سرية ، وبعد ان نفذت مخططها في الوصول الى الحكم اخذت تقيم النظام الذي تريده[1] وقد اظهرت اوروبا رضاها عنها وفي خريف ١٩٠٨م قبل افتتاح البرلمان بزمن قصير عقد مؤتمر اعضاء الحزب في سلانيك وكان هذا أول مظهر من مظاهر المباهاة بالقوة واظهر أحمد (رضا باشا) رئيس الحزب سروره بنجاح الحزب واخذ يخطب متباهيا وأكد ان اوروبا راضية عن الحركة الوطنية ، وبعد ذلك عينت بريطانيا سفيرا جديدا في اسطانبول هو (جيرالد لوثر) .

ولما وصل الى اسطنبول استقبلته جماعة الاتحاد والترقي استقبالا حماسيا حتى اخرجوا الخيول من عريش مركبته وسيروها بأنفسهم فقاموا مقام الحيوانات في جر عربته مبالغة في اكرامه وادرك رجال الجمعية ان الجيش هو أهم قوة وان من ملك الجيش ملك القوة وملك البلاد فأخذوا يعينون الضباط على أساس حزبي ثم أخذوا في تطبيق بعض القوانين الغربية دون وعي ودون حذر حتى قال احد الدبلوماسيين (أنهم كثيرا ما يخطون الخطوة الثانية قبل الاولى) .

وأخذوا يرفعون شعارات الوطنية وتفضيل تركيا على باقي الشعوب وتتريك باقي شعوب الدولة العثمانية واخذوا يقولون ان العلاج كله في الافكار الغربية والحضارة الغربية[2] .

ونتيجة لذلك بدأت ردود الفعل عند القوميات الاخرى فألفوا لهم جمعيات قومية مماثلة مثل الألبان والشركس والكرد والعرب .

وتغلغل الانجليز والفرنسين في صفوف العرب الذين اخذوا يحملون النعرة القومية العربية وسهلوا لهم أعمالهم فعقد الشباب العرب في ١٨/٦/١٩١٣م مؤتمراً في باريس تحت رعاية فرنسا وكان هذا اول اعلان من القوميين العرب عن انحيازهم الى فرنسا وبريطانيا ضد دولتهم ، الدولة العثمانية [3] .

وكذلك فان الدول الغربية قد عمدت الى الدولة نفسها في تغيير الحكم والاحكام الشرعية عن طريق إزالتها ووضع القوانين الغربية مكانها ، وقد سلكوا لذلك عدة اساليب فأثروا على الحكم بواسطة عملائهم ، واستطاعوا ايصال هؤلاء العملاء والدعاة الى مراكز عالية ، وكان هؤلاء العملاء يطالبون بالدستور ، ومن ابرزهم مدحت باشا[1] وقد نجحوا فعلا في ذلك ، وفي الحرب العالمية الاولى شن الاوروبيون حربا صليبية شعواء ضد المسلمين لاسقاطهم عن مركزهم واذلالهم والانتقام منهم وتطبيق النظام الغربي عليهم .

والذي يوضح هذا ، التصاريح التي اطلقها قواد الحلفاء عند دخولهم المنطقة

فعندما دخل الجنرال اللنبي القدس قال كلمته المشهورة التي لازال صداها يقرع اسماع كل مسلم على وجه الأرض ليعرف نوعية الحرب وما تستهدفه ، قال هذا الصليبي : (الآن انتهت الحرب الصليبية) ، وهناك تصريح آخر لقائد فرنسا في سوريا الجنرال غورو ، فعندما دخل دمشق ذهب لتوه الى قبر صلاح الدين وقال (قم ياصلاح فقد عدنا أخيرا) وهناك تصريح آخر لقائد صليبي آخر وهو لورنس في بعض رسائله التي كان يبعثها الى المخابرات البريطانية اثناء الحرب في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٦م بعنوان (سياسات مكة) وقد قال فيها :

«لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة وبالعنف لقضينا على خطر الاسلام الى الابد ولدفعنا المسلمين الى اعلان الحرب على أنفسهم فنمزقهم من داخلهم وفي عقر دارهم وسيقوم نتيجة ذلك خليفة للمسلمين في تركيا وآخر في العالم العربي ليخوض حرباً دينية داخلية في ما بينهما ولن يخيفنا الاسلام بعد هذا ابدا[2] .

وقال في رسالة اخرى «اهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الاسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها»[3] .

«واذا عرفنا كيف نتعامل مع العرب فسيبقون في دوامة الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة متناثرة غير قابلة للتماسك»[4] ،

وقد حدث هذا فعلا بعد الحرب في اتفاقية سايكس بيكو.. وفي اثناء الحرب بدأ الغربيون يحاولون ايجاد عملاء سياسيين لهم للتأثير على الدولة وحملها على عقد صلح والانسحاب من الحرب ، هذا وكان في الضباط الاتراك ضابطان معروف عنهما امران ، احدهما : كرههم للالمان ومعارضتهم لدخول الدولة العثمانية الحرب .

والثاني هو طموحهم لتسلم الحكم وسعيهم له وهذان الضابطان هما جمال باشا ومصطفى كمال وكان جمال باشا أحد كبار الذين يحكمون الدولة وهم طلعت رئيس الوزراء وأنور وزير الحربية وجمال باشا قائد الفيلق الرابع وحاكم سوريا وبعد فشل الانجليز في حملة الدردنيل العثمانية ووقوعهم في موقف محرج جدا حاولوا الاتصال مع جمال باشا ومفاوضته للثورة على الدولة العثمانية ووافق جمال باشا وقدم شروطا لذلك منها انه يريد ان يحكم هو ومن بعده أولاده اتحاد السلطنة المؤلفة من دول سوريا وفلسطين والعراق وعربستان وكليكية وافريقيا وكردستان ويعلن هو ان السلطان اسير بيد الالمان ويعلن الحرب عليهم ويساعده في ذلك الحلفاء إلا انهم رفضوها لانها تقتضي ابقاء الخلافة والابقاء على وحدة البلاد الاسلامية ولو على شكل اتحاد وهذا ما يرفضه الغرب الصليبي الحاقد .

وأما مصطفى كمال فقد كان ضابطاً مغموراً أبدى شجاعة في الحرب ورقي الى مناصب عالية واصبح من القادة الذين لهم تأثير في الحرب وقد دلت المعارك التي خاضها على تعاونه مع الحلفاء وعمالته للانجليز فهو قد انسحب بالجيش وسلم سوريا كلها لقمة سائغة للانجليز وخالف امر القائد العام وادعى المرض في نابلس ليعرقل سير المعارك وامر

الجيش بعدم الاصطدام مع العدو فهو بعد أن لزم الفراش في نابلس بحجة المرض وبدأ الهجوم الانجليزي في ١٩١٨/٩/١٩م انسحب بالجيش جاعلا ظهره الى نهر الاردن وجمع فلوله ومضى بها نحو الصحراء ثم انسحب واياهم بمحاذاة الخط الحديدي الى دمشق بسرعة ودون توقف وفي دمشق امره القائد العام (فون ساندروز) وهو الماني أن ينشيء خطاً دفاعياً جديداً في الرياق فذهب لينفذ الامر ولكنه رجع واقترح الانسحاب من سوريا كلها والوصول الى حلب للدفاع عن تركيا ورفض القائد الالماني ذلك ولكنه اخذ الجنود الاتراك فقط وانسحب بهم الى حلب وامر بعدم قتال الانجليز وبعد الهزيمة اخذ مصطفى كمال يجمع الأنصار حوله وقد ساعده الانجليز ليصبح رجل تركيا الاول فقد اوجدوا مشكلة بين الاتراك واليونان وقالوا ان الحلفاء سيحتلون ازمير وذلك طبقا للمادة السابعة من شروط الهدنة ولكنهم ارسلوا اليونانيين ليحتلوها وكان هياج اليونانيين وحماسهم كبيراً وبينما هم يطوفون في الشوارع بكل تحدٍ واستفزاز اطلقت طلقة مقصودة لاثارة الجيش اليوناني.

وعندما سمع اليونانيون الطلقة اخذوا يطلقون النار على كل عثماني مفرغين حقدهم واخذوا يستفزون الضباط بالبصاق على وجوههم واجبروا كل تركي ان يدوس طربوشه بقدميه ومن يرفض يمزق جسمه بالسيوف ثم اخذوا ينزعون الحجاب عن وجوه النساء المسلمات ويقتلون كل من ترفض السفور وعملوا في البيوت سلبا ونهبا واستفزازا وكان ذلك وفق خطة مدبرة من بريطانيا لرفع مصطفى كمال الى القمة ففي ذلك الوقت وفي ١٩١٩/٥/١٩م رست الباخرة (انبيولي) في ميناء ازمير بين الاسطول الانجليزي والبواخر اليونانية ونزل منها مصطفى كمال ودخل المدينة وذلك بعد ان ارسلت بريطانيا بطلبه على رأس قوة لحفظ النظام وقد طلبت الدولة العثمانية ارجاعه ولكنه رفض، وهذا يدل على ان بريطانيا التي سمحت لليونان القيام بأعمالهم الوحشية وخالفت الدولة العثمانية واختارت مصطفى كمال بالذات لاستثمار هذه الاستفزازات، كانت متفقة مع مصطفى كمال لجمع الناس حوله ثم بهدم الخلافة وحتى لو وقفت بريطانيا عند هذا الحد فان مصطفى كمال لا يستطيع ان يستمر في عمله هذا لانه لم يكن هناك احد في تركيا يرضى الغاء الخلافة اذ ان كلمة الخلافة كان لها وقع شديد في نفوس الاتراك وكان الناس مخلصين اشد الاخلاص للخلافة بدافع التقوى والخوف من الله.

وبعد هذه الاعمال من بريطانيا ومصطفى كمال اراد مصطفى كمال ان تكون له حكومة تحل محل الخلافة فاستدعى رفعت باشا سيواس وكان عاشقاً للافكار الغربية واستدعى ايضا علي فؤاد قائد الجيش المعسكر في انقرة وحضر الاجتماع اناس آخرون وقال لهم ان المقاومة هي الامل الوحيد فوافقوه ورسموا خطة تتلخص في ان يضاعفوا وينظموا العصابات غير النظامية التي تواجه ازمير كي تعرقل وتوقف تقدم القوات اليونانية ووراء هذه المناوشات يعيدون تكوين جيش وطني

واحد نظامي وقوي على انقاض الجيوش المتفرقة ثم وضعوا قيادة المقاومة فكان رأيهم ان يتولى علي فؤاد قيادة قوات الغرب وكاظم قرة بكير قوات الشرق ومصطفى كمال قوات الوسط ثم قال مصطفى كمال ان الحكومة المركزية والسلطان واقعان تحت سيطرة الاعداء ولذلك فان علينا ان نقيم حكومة مؤقتة في الاناضول فنفر الجميع واظهروا سخطهم وامتعاضهم واعلنوا انهم لن يسيروا معه إذا جرح عواطف السلطان او مس الخلافة بسوء ولكن بما ان الذين ساروا مع كمال أتاتورك كانوا يقصدون قتال الحلفاء وكان كمال وحفنة من مشايعيه يقصدون قتال الخليفة واسقاط الخلافة فقد كان لابد من حدوث اشتباكات مع الحلفاء وقد حدث هذا فعلا ودل سير الحوادث على ان هذه المعارك كانت كلها بتخطيط وتدبير بريطانيا تنفيذا لمخططها المعروف ومن بين الحوادث ان الانجليز اعلنوا انهم سيحصنون سمون لمنع الثوار من الدنو من البر واحتلال سمون فأصدر مصطفى كمال الامر الى رفعت بالدفاع عن سمون وردع الانجليز من انزال جيوشهم فذهب رفعت ومعه قوة صغيرة ولم يحدث بينهم اصطدام وانسحب الانجليز وبذلك ظهر ان بريطانيا العظمى قد خافت من المائة رجل وانسحبت من سمون وماكان ذلك الا لجعل مصطفى كمال البطل المنقذ في اعين المسلمين. هكذا بدأت ثورة مصطفى كمال البطل واستمرت وكل ذلك ماكان الا تمهيدا للقضاء على أهم شئ للمسلمين بين دول العالم وهي الدولة الاسلامية ومنصب الخلافة.

ثم أقام كمال أتاتورك حكومة في انقرة الا ان الخليفة قد دعا الناس الى مقاتلته وسير حملة الى انقرة ليقضي على الدولة الجديدة وقادها بعض الضباط الموالين له وانضم اليهم كثير من المتطوعين وثارت عدة مقاطعات ضد حكومة انقرة واصبح الناس يتركون كمال أتاتورك وينضمون لجيش الخليفة لانهم كانوا يعتبرون ان طاعة الخليفة من طاعة الله.

وتوالت انتصارات الخليفة حتى انه استطاع أسر فرقة كمالية كاملة وانضمت تركيا للخليفة حتى بقيت انقرة وحدها وصار مصطفى كمال في احرج وضع حتى كاد يستسلم وفي هذا الاثناء اذاعت بريطانيا شروط الصلح والتي وقعت في باريس والمعروفة بمعاهدة سيفر وكان هدف بريطانيا من ذلك هو انقاذ مصطفى كمال وعند اذاعة نصوص المعاهدة ثار الرأي العام في تركيا واعتبر الخليفة ورئيس وزرائه خائنين لان المعاهدة ستجعل من الدولة العثمانية دولة صغيرة محصورة في البلاد التركية وتفرض التخلي عن بلاد المسلمين الاخرى مثل بلاد العرب وغيرها وطبيعي ان يرفض الشعب المسلم في تركيا هذه الاهانة من بريطانيا ولم يكونوا يعلمون نوايا مصطفى كمال اذ ان من أبرز مبادئ مصطفى كمال هو التخلي عن بلاد المسلمين والتقوقع داخل تركيا والدعوة الى القومية الطورانية.

ولذلك انقلبت الكفة لصالح مصطفى كمال الذي ظنه الاتراك يريد محاربة الحلفاء واسترجاع البلاد العربية بما في ذلك مصر وشمال افريقيا وغيرها من البلاد من البلقان واليونان وتركستان وغيرها.

ومن المعروف ان هذه المعاهدة بقيت مكتومة قرابة سنة الى ان حوصر مصطفى كمال واذاعتها بريطانيا لان اذاعتها كفيلة باشعال الثورة ضد الخليفة ومناصرة كمال أتاتورك.

ويظهر أيضاً تعاون بريطانيا مع مصطفى كمال في انه في هذه الفترة كانت العربات تشحن بالاسلحة من شبه جزيرة (غاليبولي) ومن اسطنبول تحت بصر بريطانيا كما ان بريطانيا ادعت انها غاضبة من مصطفى كمال فقام اسطولها باحتلال اسطنبول ولم يمس الثائرون بسوء ولم تُهاجم انقرة وكذلك فان الملاحظ في سير المعارك ان الاصطدامات كانت تقع بين الفرنسيين والطليان وبين مصطفى كمال ولم يحصل اصطدام مع بريطانيا فقد ظهر ان معاهدة سيفر لم توضع للتنفيذ وانما لتهديد تركيا واستعمالها وسيلة ضغط لتنفيذ أغراضها بدليل انها لم تنفذ وبقيت مكتومة اكثر من سنة ولم تنشر الا عندما حوصر مصطفى كمال في انقرة وكاد يقضي عليه وتسحق ثورته وقد دعت بريطانيا لعقد مؤتمر في لندن لاعادة النظر في معاهدة سيفر ومن الغريب هنا ان يحضر وفد يمثل حكومة انقرة التي لم يعترف بها احد بعد مما يدل على ان بريطانيا تمهد لجعلها هي الحكومة الوحيدة التي تمثل تركيا، وفي المؤتمر في لندن كان رئيس وفد الخليفة هو توفيق باشا وكان بكير سامي بك رئيس وفد انقرة وقد عقد المؤتمر في شباط سنة ١٩٢١م وعندما جلس الوفدان على طاولة المفاوضات اعلن رئيس الوزراء توفيق باشا انه كرئيس اسطنبول قد تنازل عن حقه في الكلام الى بكير سامي بك وبذلك لم يرتفع غير صوت انقرة وصار مصطفى كمال هو الذي يتصل بالدول ويفاوض بالرغم من وجود حكومة الخلافة وبدأت الدول الاوروبية تظهر ميولها معه، واتصل كمال بروسيا بعد الحرب وكانت قد تألفت فيها حكومة شيوعية وطلب اليها تأييده وتنازل لها عن بطون وطلب عقد معاهدة صداقة معه باسم تركيا ليكون ذلك اعترافا به فقبلت الحكومة الشيوعية ذلك لانها ضد الاسلام وضد الخلافة، فصارت بهذا فرنسا وايطاليا وروسيا بجانب حكومة انقرة فأشتد ساعد كمال أتاتورك، حتى قضى على الخلافة نهائيا في تركيا واعلن حربه على الاسلام.

وهكذا ظلت العجوز الصليبية واعداء الاسلام بشتى اسمائهم يرفعون من شأن أتاتورك في أعين الاتراك والمسلمين بافتعال الانتصارات الوهمية والاخلاص الكاذب والتقليل من شأن السلطان حتى هدمت خلافة المسلمين. ولابد هنا من اظهار تعاون اليهود مع الصليبيين في هدم الخلافة هؤلاء اليهود الذين اعلنوا الحرب على الاسلام منذ ان وجد.

وشواهد التاريخ كثيرة التي تدل على ذلك مع انهم عاشوا طوال التاريخ بين المسلمين وتحت ظل الخلافة بأمن وطمأنينة ولكنهم عندما رأوا ان الخلافة حاجز صلب في وجه اطماعهم الاستعمارية انشأوا الجمعيات الماسونية واوقعوا في شبكها الكثير ممن لهم السيادة والسلطان من عرب وأتراك فعمل هؤلاء من حيث يدرون او لا يدرون على هدم الخلافة باسم جمعيات هدفها الظاهري البراءة.

وهنا نورد قصة اتصال اليهود بعبد الحميد خليفة المسلمين ليفاوضوه على فلسطين ثم رفض عبد الحميد اي نوع من المفاوضة والمساومة فكان ثمن هذا الرفض عزل عبد الحميد.

بدأ اتصال اليهود بعبد الحميد عن طريق القنصل العثماني في سنة ١٨٨٢م فقد تقدموا بطلب الى القنصل يعبرون فيه عن رغبتهم في الاقامة في فلسطين وابرق القنصل الى حكومته في الأستانة فجاء الرد التالي:

«تحيط الحكومة العثمانية علماً جميع اليهود الراغبين في الهجرة الى الدولة العثمانية بأنه لا يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين».

جن جنون اليهود لهذا الرفض وأرسلوا البعثة تلو البعثة الى الاستانة في فلسطين في نفس العام ولكن بدون جدوى فطلبوا من السفير الامريكي التداخل ولكن رد السلطان عبد الحميد جاء رادعا فقد قال له (انني لن اسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين مادامت الدولة العثمانية قائمة) وفي سنة ١٨٩٨م قام هرتزل زعيم الحركة الصهيونية بمقابلة السلطان وطلب منه الحصول على مستعمرة واحدة بالقرب من القدس مقابل دعم مالي كبير للدولة العثمانية وكان رد السلطان عبد الحميد (ان الدولة العثمانية ملك للمسلمين الذين لا يمكن ان يوافقوا على هذا الامر فأحفظوا أموالكم في جيوبكم)[١].

وبعد مؤتمر بازل المنعقد في سويسرا سنة ١٨٩٧م نشطت الحركة الصهيونية بعد ان وضعت برنامجا للعمل وحددت اهدافها ووسائلها لاستعمار فلسطين[٢] مما دعى السلطان عبد الحميد لان يبلغ جميع ممثلي الدول في عاصمته بلاغه المشهور سنة ١٩٠٠م والذي ابلغ جميع دول العالم. (انه لن يسمح لليهود الحجاج بالاقامة في فلسطين اكثر من أشهر ثلاثة وعليهم تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم ارض فلسطين ويستلموا بدلا منها (اذن اقامة) من موظفي الباب العالي في الميناء الذي يدخلون منه وكل من لا يغادر البلاد في خلال هذه المدة فسيطرد بالقوة).

وفعلا امر السلطان بصرف اذن اقامة للحجاج سمي (الجواز الاحمر) وطرد كل من يتأخر منهم عن الموعد المحدد واصدر في سنة ١٩٠١م أمراً يحرم فيه على اليهود شراء أي قطعة في ارض فلسطين، ولم ييأس اليهود رغم هذه المواقف العنيدة من السلطان عبد الحميد بل قاموا بمحاولة اخرى سنة ١٩٠٢م فقد توجه وفد لمقابلة السلطان عبد الحميد يتألف من الثالوث اليهودي (مردخاي قراصوه وجالوه وليون) وحملوا عرضا مغريا قدموه لرئيس الوزراء تحسين باشا ليحمله الى السلطان بعد ان رفض مقابلتهم ومما جاء في العرض:

يتعهد اليهود بما يلي:

١) وفاء جميع ديون الدولة العثمانية البالغة ٣٣ مليون ليرة انجليزية ذهبية.

٢) بناء اسطول لحماية الامبراطورية بتكاليف قدرها ١٢٠ مليون فرنك ذهبي.

٣) تقديم قرض بـ ٣٥ مليون ليرة ذهبية دون فوائد لانعاش مالية الدولة وذلك مقابل:

أ) اباحة دخول اليهود لفلسطين في أي يوم من أيام السنة بقصد الزيارة.

ب) السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل فيها أبناء جلدتهم في القدس الشريف أثناء حضورهم للزيارة.

وقد أدرك السلطان عبد الحميد ان هذه العروض لا تتناسب مع الطلب البخس الذي طلبوه وأيقن بأنهم يريدون موطن قدم في فلسطين ليتمكنوا في المستقبل من السيطرة عليها ولذلك كان رده الذي انبعث من عقيدته وجعله يهتز والذي سجل له عند الله والتاريخ «تحسين قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلي :

١) ان ديون الدولة ليست عاراً عليها لان غيرها من الدول مثل فرنسا مدينة أيضا وذلك لا يضيرها.

٢) ان بيت المقدس الشريف قد فتحه للاسلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب ولست مستعداً لان اتحمل في التاريخ وصمة عار بيعه لليهود وخيانة الامانة التي كلفني المسلمون لحمايتها.

٣) ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العليا لا يمكن ان تحتمي وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام.

٤) واخيراً أؤمرهم ليخرجوا ولا يحاولوا مقابلتي بعدها او الدخول الى هذا المكان ابداً.

وقد كانت النتيجة لهذا الرفض ان بدأت صحف العالم الصليبي تشهر به باسم (الرجعي) و (المستبد) وبدأ اليهود والصليبيون بتحريك حزب الاتحاد والترقي للتخلص من السلطان حتى عزلوه وليس من باب المصادفة ان يرسل الخواجه (مرخاي قراصو) لتسليم عبد الحميد وثيقة التنازل عن الحكم وهو الذي رأس الوفد الصهيوني الثلاثي آنف الذكر»[1].

ولا ننسى ان جمعية الاتحاد والترقي كانت تتكون من الاتراك ثم يليهم يهود سلونيك[2].

ونجح الكفار في مؤامراتهم ضدنا واخذت النعرات القومية تنتشر على طول العالم الاسلامي وعرضه بعد هدم الخلافة وبدأ الاستعمار الصليبي يغزونا من جديد ويفترسنا كل على حده ويقتطع من جسدنا قطعة قطعة حتى أصبح العالم الاسلامي اكثر مستعمر، ان لم يكن بالاستعمار العسكري فالاستعمار السياسي والثقافي، وذلك بتنصيب حكام عملاء له على الساحة وإيهام الناس باخلاصهم وكان للمدارس والجامعات التبشيرية دور كبير في خراب جسم الامة وعقيدتها فهي المصنع الذي صنع به العملاء ليدمروا هذه الامة وينفذوا مخططات الكفار والجامعة الامريكية أكبر شاهد لما نقول فأبحثوا وانظروا لتروا من هم الذين تخرجوا منها من زعماء الاحزاب القومية.

هكذا نجح الكفار بهدم خلافة الاسلام عن طريق اثارة النزعات القومية والعنصرية وهكذا كانت النتيجة ان مزق العالم الاسلامي الى قوميات تركية (طورانية) وقومية عربية وثالثة هندية ورابعة فارسية ومن ثم انقسمت القوميات الى اقطار تحارب بعضها بعضا، ثم الى عنصريات والى عائليات متنافرة وفي هذا الجو الذي اوجده الكفار سهل عليهم ان يغزونا عسكريا وفكريا وان كان العسكر قد رحلوا عن اكثر ديار المسلمين الا ان الغزو الفكري وهو اخطر أنواع هذا الغزو بقي موجودا عن طريق القوانين المستمدة من

الشرق الشيوعي او الغرب الرأسمالي وعن طريق التعليم الغربي وعن طريق الاعلام السيئ وعن طريق الجمعيات التبشيرية التي تنتشر في كثير من بلاد المسلمين وعن طريق الاحزاب القومية الحديثة التي يقودها النصارى ليضمنوا عدم عودة الامة الاسلامية الى رابطة العقيدة الاسلامية فحزب البعث اسمه النصراني (ميشيل عفلق) في سنة ١٩٤٣م وتقوم دعوته على أساس التعصب القومي ونبذ رابطة الاسلام بين العرب انفسهم وبين العرب وغيرهم من المسلمين من الاجناس الاخرى وذلك بمناداته في كتبه بتمجيد جاهلية قبل الاسلام وقوله بأن محمدا عبقريا عربيا وليس نبيا وان الاعتزاز به يكون لانه عربي وليس لانه نبي ويقول ايضا بان فكر محمد قد انتهى والآن جاء دور فكره اي فكر ميشيل عفلق نفسه فهو النبي الجديد لهذه الامة ولذلك ينادي في كتبه بفصل الدين عن الحياة.

وكذلك حزب القوميين العرب الذي أسسه النصراني قسطنطين زريق وهو نائب رئيس الجامعة التبشيرية الخطيرة، الجامعة الامريكية في بيروت وجورج حبش نصراني ايضا وهو من خريجي الجامعة الامريكية في اوائل الخمسينات من هذا القرن.

هكذا نجح الكفر في تمزيق المسلمين من وحدة واحدة ودولة واحدة وخليفة واحد الى هذه القوميات والقوميات الى وطنيات محلية.

وهذه الوطنيات الى صراع وحقد بين قرية وقرية، ومدينة ومدينة، وبين مدينة وبادية وبين شمال الوطن وجنوبه وبين شرقه وغربه ومن ثم الى عائلية تتصارع فيها العائلات ضد بعضها هذا ما يشكو منه المسلمون اليوم ولقد نجح الكفر في ذلك ايما نجاح.

بعد هذا الذي رأيناه ووقعنا فيه علينا العمل لتفويت الفرصة على اعدائنا الكفار، حتى تعود لنا وحدتنا وقوتنا وعزتنا وذلك بأن نجعل الرابطة بيننا هي رابطة العقيدة، والتي تجعل من الناس اخوة في الله متحابين متعاونين على الخير ضد الشر نابذين كل انواع العنصرية بشكلها القومي والوطني والقبلي والعائلي حتى نكون مسلمين حقا، مقياس التفاضل بيننا هو التقوى كما أراد الله سبحانه وتعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم).

الشيخ نادر أسعد التميمي

(١) الحجرات آية ١٣
(٢) سبأ آية ٢٨
(٣) الأنبياء آية ١٠٧
(١) راجع كتاب يقظة العرب/لجورج انطونيوس : ص، ٩٧/٩٨/١٠٠ ط سابعة ١٩٨٢م.
(٢) يقظة العرب : ص، ٩٧/٩٨/١٠٠
(٣) يقظة العرب : ص، ١٠٠
(٤) يقظة العرب : ص، ١٠٠
(٥) يقظة العرب : ص، ١٢٥
(١) يقظة العرب : ص، ١١٧
(٢) نفس المرجع : ص، ٤٩
(١) راجع يقظة العرب : ص، ١٨١
(١) يقظة العرب : ص، ١٧٦
(٢) نفس المرجع ص ١٨٢
(٣) نفس المرجع ص ١٩١
(١) نفس المرجع ص ١٧٦
(٢ – ٣ – ٤) أعمدة الحكمة السبعة، للورانس
(١) راجع كتاب اسرار الانقلاب العثماني : ص، ٤٨ طبع دار الاسلام بيروت ط ثانية ١٩٧٨
(٢) نفس المرجع ص ١٥

الظروف التاريخية والايدلوجية للتنمية الاسلامية المعاصرة

نستطيع أن ندرك أهمية وضرورة الثورة الاسلامية في واقعنا الاسلامي المعاصر بمجرد النظر الى أحوال التقدم وأحوال التخلف في العالم. ان التفاوت الذي يزداد في كل ساعة بين المتقدمين والمتخلفين يجعل الثورة الاسلامية الرشيدة هي المقابل الموضوعي للتحدي الحضاري المعاصر.

لقد أصبحت موجات التقدم متلاحقة وكان الجيل السابق يقول كتابه: علينا أن نلحق بقطار التقدم قبل أن يفوتنا القطار. هذه المقولة أصبحت اليوم أمرا تاريخيا.. لماذا؟ لأننا مطالبون اليوم بركوب سفينة التقدم الفضائية حتى لا نصبح غرباء عن البشرية أو في عزلة من التخلف، أو أهل الكهف العالمي المتخلفين. وليس في هذا القول صورة شاعرية أو حماسية، ولكنها صورة الأرقام والاحصائيات والتقارير الدولية عن الدخول ومستويات المعيشة والغذاء والطاقة وغير ذلك.

جانبان في التنمية الاسلامية

واذا جاز لنا أن نقول (التنمية الاسلامية) فان مفهومها ينقسم الى جانبين: الجانب الأيديولوجي [١]، ثم الجانب الواقعي المعاصر. ويمثل الجانب الايدلوجي فلسفة التنمية أو النظرية الاسلامية في التنمية. وهي في جملتها كنز مخبوء لم يكشف الباحثون بعد أبعاده. ولا نستطيع الزعم بوجود بحوث أو حتى (أدبيات) تحدثنا عن النظرية الاسلامية في التنمية كما تحدثنا الماركسية مثلاً أو (الليبرالية). وفي الجانب الواقعي المعاصر فان الأمر أبسط بكثير، ذلك لأن العالم الاسلامي في جملته ينتمي الى العالم الثالث أو الدول النامية، برغم التفاوت الكبير بين دوله وشعوبه، فدخل الفرد في (بنجلاديش) في متوسطه السنوي يبلغ ثمانين دولارا — بينما يصل في الخليج الى ثمانية عشر ألف دولار. برغم ذلك فان العالم الاسلامي ينتمي الى العالم الثالث لأن التنمية الشاملة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية [٢] والثقافية لم تتحقق في تلك البلدان البترولية بالقدر الذي يخرجها من اطار العالم الثالث.

الملامح التاريخية

يفسر لنا التاريخ أسباب التخلف بعاملين رئيسيين هما: الاستبداد بمعنى حكم الفرد وتسلطه، والاستعمار باعتباره صورة من أقسى صور الاستبداد والقهر. وتبين لنا التنمية أن

زحزحة الاستعمار عن كاهل الوطن لابد أن يتبعها القدر الكافي من الحرية، حتى يمكن للتنمية أن تزدهر وأن تستمر. فاذا أعقب جلاء المستعمر وصول فرد أو حفنة الى السلطة لفرض (الديكتاتورية) فشلت جهود التنمية، وأصبحت محصلة التنمية هياكل شبه خربة كأنها أعجاز نخل خاوية. ويقدم لنا التاريخ صور التخلف نتيجة للاستبداد أقسى من صور التخلف نتيجة للاستعمار، فما فرضه الاستبداد على اليمن — قبل ثورتها — من صور التخلف أقسى من التخلف الذي فرضه الاستعمار في البلدان المجاورة لليمن.

وعندما تبدأ الدول الجديدة — عقب استرداد حريتها من براثن الاستعمار أو براثن الاستبداد — في التنمية، ويصبح همها الأول هو التنمية يواجه بمشكلات لا حصر لها، انها تتسلم خرائب اقتصادية، وجيف بشرية، وثقافة وطنية أحرقها الكبت فأصبحت رمادا يغشى العيون كلما هبت عليه ريح.

هذا ما يبرر البعد التاريخي للتنمية. ان الشعوب التي ناضلت حتى حصلت على استقلالها، وقفت في صباح الاستقلال أمام عوائق متراكمة خلفها الاستعمار تجعل عملية التنمية محفوفة بالمكاره. فالى جانب الادارة الضعيفة وندرة (الاطارات) والكوادر الفنية، نجد هذه الشعوب النامية أن عليها أن تستورد الآلات والخبرات الفنية والسلع الاستهلاكية حتى رغيف الخبز وزجاجة اللبن. وأن السيطرة الاستعمارية خرجت من الباب لتدخل من النافذة.

ان قضية التخلف قضية تاريخية وقضية التقدم قضية تاريخية أيضا. وكلاهما يرتبط بالاستعمار بشكليه القديم والجديد. ذلك أن الدول الأوروبية استطاعت خلال عشرات السنين أن تحدث تنميتها وتقدمها على نار هادئة بسرقة المواد الأولية من البلدان التي استعمرتها، وبسيطرتها على التجارة الخارجية للمستعمرات، وجعلها سوقا لمنتجاتها، وبحرمان شعوب المستعمرات من فرص التقدم في الوقت نفسه. والأمثلة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أكثر من الحصر. ويثبت التاريخ أن المستعمرين كانوا أقواما متوحشة وذلك من استعراض صور استنزاف الموارد الطبيعية والبشرية والسيطرة على الأسواق في البلدان التي خضعت لسيطرتهم.

والسؤال الملح في صبيحة الاستقلال أمام الشعوب وقادتها هو أي أسلوب للتنمية ينبغي أن نختار؟ تنمية رأسمالية؟ أو تنمية اشتراكية؟ أو تنمية مختلطة؟

ان هذا السؤال هو الاختيار الأساسي للمستقبل، فعلى ضوء الاجابة عليه يتحتم تقرير هيكل الاقتصاد، ومصير العلاقات الاجتماعية، ونمط الحياة الثقافية في المجتمع.

ولقد اجابت تجارب البلدان العربية على وجه الخصوص اجابة تاريخية وواقعية خلال ثلث القرن الأخير حتى اليوم. أجابت بأن الطريق الصحيح لم يتبع في التنمية وهو طريق الاسلام. لذلك كانت محصلة التجارب هي اثبات أن التنمية الاسلامية هي الاختيار الوحيد الصائب للبلدان الاسلامية.

الملامح الأيدلوجية

يواجه المسلم الفرد ويواجه المجتمع المسلم

قضية الدين وحكم الدين في تفاصيل حياته.

وبالقدر نفسه يتمتع الفرد المسلم ويتمتع المجتمع المسلم بمساحات شاسعة لحركته وحرياته واختياراته لا تستطيع (الأيدلوجيات) الأخرى أن تبلغها. ومن هذا الأساس (الأيدلوجي) تصبح التنمية الاسلامية قضية (أيدلوجية) عقائدية من وجهة نظر الاسلام.

والنظرية الاسلامية في التنمية لم تكتب بعد، وذلك لأسباب تاريخية وحضارية معاصرة، تتلخص في تخلف المجتمعات الاسلامية، وتبعيتها للحضارة الأوربية المعاصرة بشقيها (الليبرالي – الرأسمالي) والشيوعي.

ولكن الظاهرة الجديرة بالاهتمام هي أن أعداء الاسلام لم يقفوا منه موقفا ساكنا سلبيا – كما وقف ابناؤه – في أيدلوجيات التنمية. فالماركسية ترى أن الدين –كل دين هو أفيون الشعوب وأن مجرد وجوده عائق للتنمية. والليبرالية الرأسمالية ترى أن الاسلام وأديان الشرقيين عموما عائق للتنمية. وهم يخصون الإسلام بالهجوم فهم يزعمون أن فكرة القضاء والقدر سبب تخلف المسلمين. برغم أن فكرة القضاء والقدر في الاسلام فكرة ايجابية وليست سلبية. فهي تسلحني بقدر لا نهائي من الثقة، فيصبح علي أن التزم بسنن الله (تلك المعبر عنها بقوانين الطبيعة) وأعقل بعيري وأتوكل على الله.

وبعيداً عن الخوض في صراع الحضارة الأوربية ودوزها الأمريكي المعاصر – الذي يمثل صورة من الصور المتجددة للحروب الطبيعية. وبعيدا عن صراع الثقافات الناتج عن اختلاف معايير السلوك بين الثقافات المختلفة.. بعيدا عن كل ذلك وما يشابهه لا – يستطيع الباحث الموضوعي المحايد في أيدلوجيات التنمية أن ينكر أن الاسلام هو الدين الذي عالج قضايا الدنيا الى جانب قضايا الآخرة. وهو الذي حدد العلاقات الاقتصادية بالتفصيل، ووضع للعمل قيمة مادية وروحية في الوقت نفسه.

وما أيسر وأقوى الرد على أساليب الحرب النفسية والدعاية المضادة للاسلام من الناحية النظرية. ولكن القصور الذاتي لوسائل الاعلام لدى المسلمين هو الذي يبدي صوت الباطل أعلى من صوت الحق وأكثر انتشارا وذيوعا. وعلى أية حال فان هذا يندرج تحت الجانب الدفاعي عن الأيدلوجية الاسلامية في التنمية. فماذا عن الجانب البنائي؟

ان بناء نظرية اسلامية في التنمية لم يكتب بعد. ولكن الحقل ليس جدبا اجدابا مطلقا. ففي تجربة البنوك الاسلامية من جانب، وفي التجربة الوليدة للثورة الاسلامية في ايران من جانب آخر واقع لا يمكن اغفاله، أو التقليل من أهميته. وفي كتابات المفكرين والباحثين الاسلاميين ما يشكل نباتات متفرقة جمعها في شكل ابداعي جديد في بستان واحد يقدم لنا نظرية اسلامية للتنمية الشاملة.

واذا تأملنا بعض هذه النباتات من زاوية أيدلوجية فاننا نجد الآتي:

أولا: لقد استوقفت ظاهرة تأكيد القرآن الكريم على انتخاب الأصلح علماءنا المسلمين [٣] فالقرآن يدعونا الى الأحسن والأصلح في

كل مجال، سواء أكان المجال فكريا، أو علميا، أو سياسيا، أو اقتصاديا، أو اخلاقيا، أو ما شابه ذلك. يقول القرآن الكريم.

★ عباد. الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه.

★ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا.

★ واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم.

★ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن.

★ الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها.

★ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن.

★ واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها.

★ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها.

★ وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا.

أو ليس في ذلك دليل عمل وأسس مبادئ للتخطيط في التنمية من وجهة نظر الاسلام، على مستويات التنمية المختلفة؟

ثانيا: لقد أبرزت دراسات الباحثين المسلمين في الزكاة أن هدف المجتمع المسلم أن يحول مستحق الزكاة الى دافع زكاة. وفي دراسة الدكتور يوسف القرضاوي عن الزكاة متسع لمن أراد المزيد والتفصيل. وأبرزت دراسات الباحثين المسلمين أن قضية العدل الاجتماعي في الاسلام أشمل وأعمق من شجب القيمة الفائض وغير ذلك. وفي كتاب سيد قطب عن العدالة الاجتماعية في الاسلام متسع لمن أراد المزيد والتفصيل.

ثالثاً: تُرَسِّخُ قواعد الاسلام بصفة عامة قيم وسلوك المسلمين ليصبحوا منتجين. ومن ثم تصبح التنمية الاسلامية محصلة تربية اسلامية بالمعنى الشامل للتربية [٤] ويكفي تأمل آيات القرآن الكريم في أمر المسلمين بالانتشار في الأرض، والمشي في مناكبها، والأكل من رزق الله. والأمر المباشر بالعمل في قوله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون). صدق الله العظيم.

والسنة الشريفة تحضنا على المبادئ العامة التي ترسخ السلوك والقيم التي تخدم التنمية ونسوق من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نماذج لذلك:

★ ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه انسان أو دابة الا كان له صدقة.

★ سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب الى الله قال أدومها.

★ اماطة الأذى عن الطريق صدقة.

★ ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده.

★ اذا رأيت القيامة تقوم وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها.

★ من بات كالا من عمل يده بات مغفورا له.

★ ان من الذنوب ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولكن يكفرها السعي على المعيشة.

واذا تتبعنا صناعات الأنبياء كما وردت في القرآن الكريم نجد الرعي مهنة معظم الأنبياء، وكانت النجارة مهنة نوح عليه الاسلام، وحياكة الملابس مهنة داوود عليه السلام. واذا

نظرنا الى القوانين الاسلامية نجد الحماية الكافية للانتاج أو بمعنى أشمل للتنمية. ان حد السرقة مثلاً في جانب منه قوى الانتاج بلغتنا المعاصرة.

هذه الملامح العامة للأيدلوجية الاسلامية في التنمية ليست ملامح عاطفية أو حماسية وانما هي ملامح مادية ومثالية في آن واحد. وهي قواعد تطبيقية وتجريبية، وان كان واقع المسلمين المعاصرين يبعد عنها فذلك بسبب فقدان الوعي أو فقدان القدرة على تطبيق شرع الله في كثير من بلدان المسلمين.

مستقبل التنمية الاسلامية

ماذا حدث للذين فاتهم عصر البخار وعصر الكهرباء؟ وماذا حدث للذين أدركوا العصرين ولحقوا بعصر الذرة والكمبيوتر وغزو الفضاء؟

ان ما حدث هو الواقع المعاصر للتخلف والتقدم، وللهوة التي تزداد اتساعا في كل ساعة بين المتقدمين والمتخلفين. وهذا ما يبين لنا مستقبل التنمية الاسلامية. ان الطاقة البشرية، والموارد الطبيعية والتمويل متوفرة في جملتها في العالم الاسلامي. ولكنها لا تتوفر لبلد واحد من بلدانه كما هي في الولايات المتحدة مثلاً أو الاتحاد السوفيتي.

المسلمون مجتمعون يملكون شروط التنمية جميعها وبصورة لم يحظ بها تجمع بشري أو عقائدي أو جغرافي من قبل. ولكن الصورة المعاصرة للبلدان الاسلامية تكاد تكون صورة نادرة لم يحظ بها مسرح في مأساة أو ملهاة.

ان المسلمين يصدرون بصفة عامة المواد الخام للبلدان المتقدمة الغنية ويودعون أموالهم في بنوكها وتهاجر العقول والأيدي العاملة العربية والاسلامية الى هذه البلدان المتقدمة الغنية ثم يستورد العالم الاسلامي من البلدان المتقدمة التي صدر اليها المادة الخام والمال والبشر، والمواد المصنعة..!

ماذا يمكن أن يحدث لو استمر هذا الوضع؟ ببساطة شديدة وأليمة سوف تزداد الزوايا انفراجا. فتزداد هجرة العقول والأيدي العاملة العربية والاسلامية الى البلدان الغنية المتقدمة وتتضاعف، وسوف يستمر تصدير المواد الخام والأدوية للبلدان الغنية المتقدمة وتتضاعف، وسوف تتوطن الأموال العربية على وجه الخصوص في الغرب. تلك الأموال التي تعلن مصادر الأخبار أنها تبلغ ٢٥٠ مليارا من الدولارات والواقع أنها أكثر من ذلك بكثير.

يبقى السؤال المقابل: ماذا لو وضعت وطبقت الأمة الاسلامية استراتيجية للتنمية؟ إن الاجابة بغير تردد هي تغير الخريطة العالمية المعاصرة للتقدم والتخلف.

ولكن كيف الطريق؟ ان الاجابة بغير تردد أيضا هي طريق الثورة الاسلامية الرشيدة. فهي الاجابة الصحيحة بل الاجابة الوحيدة الصحيحة للتحدي الحضاري المعاصر.

د. محمد سيد محمد

الأستاذ بقسم الصحافة جامعة القاهرة

(١) أورد الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه الأيدلوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع

المعرفة (عالم المعرفة) العدد ٦١، الكويت، ١٩٨٣، تعريفات عديدة للأيدلوجية منها:

★ مجموعة أو عائلة من المفاهيم.

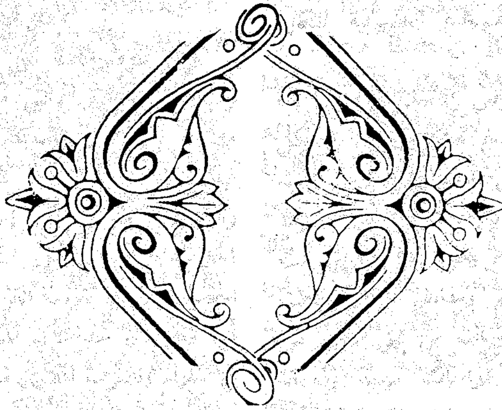
★ نسق من الأفكار عن العالم الاجتماعي تضرب بجذور عميقة في مجموعة محدودة من القيم والمصالح.

★ نسق من المعتقدات والمفاهيم واقعية ومعيارية يسعى الى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منطق يوجه ويبسط الاختيارات السياسية الاجتماعية للأفراد والجماعات.

(٢) ان التنمية الاجتماعية في هذا المقام لا تقف عند مفهومها القديم في خدمة البيئة. وانما البعد الاجتماعي للتنمية يشمل تحليل القوى الاجتماعية السائدة في المجتمع، وطبيعة السلطة، ونظرية الحكم، ومدى مشاركة الجماهير في صنع القرار. ثم العادات والتقاليد، والشخصية القومية، وما شابه ذلك.

(٣) آية الله مهدوي الكني – شمولية القرآن الكريم – مجلة التوحيد – العدد ٩ – السنة الثانية.

(٤) يرى علماء الاجتماع أن التربية هي نشأة اجتماعية، ويرى علماء الاقتصاد أنها عملية تنميه بشرية، ويرى علماء السياسة أنها تنمية مفاهيم أو قيم سياسية. وحيث أن التربية علم موضوعه الانسان فان التربية الشاملة – فيما أرى – هي الحياة.



التبعية الحضارية بين الامس واليوم

ملاحظات حول الزى واللباس

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان الغرب قد حسم لصالحه معركة من أهم وأخطر معاركه مع الاسلام على الاطلاق. وخطورة هذه المعركة وأهميتها تنبع من أن الغرب أراد لها أن تكون شاملة وذات طبيعة متكاملة ترتبط جوانبها بمنطق واحد متماسك لا يمكن فصم جانب منه عن آخر بدون أن يخل ذلك بتركيبة مكونة بصورة لا تقبل التجزئة والعزل. فالهيمنة الاقتصادية لا تتم بدون هيمنة عسكرية وهذه لا يستتب لها الأمر بدون هيمنة أخرى سياسية ولكي تكتسب الأخيرة فعاليتها لا بد لها أن تحطم البنى والتركيبات السياسية. الدينية والاجتماعية والاقتصادية السابقة لها والمتكونة تاريخيا عبر مئات السنين. ولكي تتكامل عملية الهدم هذه عليهم ان لا يسمحوا لهذه التركيبات أن تبني نفسها من جديد على نفس قاعدتها التاريخية. الحضارية. وهذا لا يتم إلا بتغير هذه القاعدة بقاعدة جديدة تقطع نسل القيم والمكونات والهياكل التاريخية السابقة لتبدأ بعملية تلقيح جديدة تعطي شيئاً آخر. هذا «الشيئ الآخر» هو ما تعيشه شعوبنا اليوم، إنه الحيز الخرب بين القاعدة المحطمة والقاعدة الوافدة (والتي أصبحت فيما بعد المثال – النموذج). فتأتي هذه الأخيرة لتكمل وتغلق الدائرة التي تمثل شمولية المشروع الاستعماري الغربي والتي مازال الكثير من الشعوب يصارع الغرب من داخلها. لقد حمل الغرب نموذجه التاريخي (الحضاري) معه في حملته الجديدة ضد الاسلام والمسلمين. وهذا النموذج وتصميم الغرب على تعميمه شكلا العامل الاضافي والجديد والحاسم في المعركة التي خاضتها الأمة الاسلامية والشعوب الاخرى مع الغرب المستعمر. إن خسارة شعوبنا الحقيقية في هذه المعركة تحققت فقط حين لم يروا فيها كليتها وشموليتها. لقد حاربوا الجزء في الوقت الذي كان الغرب يهجم في الكل. وحين إنتصروا في الجزء او هذا ما اعتقدوه، كان الغرب قد أدخلهم في دائرته الحضارية ومشروعه التاريخي. وهكذا فحين كسبت هذه الشعوب معركة الاستقلال، فإنها كانت قد خسرت المعركة الأساسية: معركة الحضارة.

اما الدائرة الحضارية لتلك، فإنها كانت تتسع لتشمل مساحة هائلة من الفعاليات والأنشطة التي كان ولا يزال يمارسها الكثير من المسلمين على الصعيدين العملي والفكري. وقد أصبحت عند البعض منهم بمثابة مسلمات



مصطفى كمال بالزي الليبي



مصطفى كمال بالزي الافرنجي

بديهية باعتبار أنها تمثل «منطق التطور الانساني» و «النتيجة الطبيعية للتطور الحضاري».

ولكن مع النهوض الاسلامي الذي بدأ يشهده العالم منذ بضع سنوات بدأت تتشكل قاعدة عريضة من المسلمين ترفض إرث الهزيمة هذا وتدفع بإتجاه فتح أبواب المعركة الحضارية من جديد. وعلى هذا الطريق تمت مراجعة وفحص قيم ومفاهيم سابقة كانت ومازالت تعامل كبديهيات من قبل الكثير من الناس، فظهرت دراسات مهمة ومعمقة تتعرض بالنقد لموضوعات التربية والتعليم والثقافة والاقتصاد والسياسة والايديولوجيات. وبالرغم من أن العمل في هذا الميدان مازال في أوله وطريقه محفوف بالكثير من العقبات والمصاعب الا أن الخطوة الأولى قد بدأت وهي على الطريق الصحيح إناء الله.

الدار الأولى

ومن الموضوعات التي لم تحض بالاهتمام والدراسة الكافيين والتي ما زال العمل فيها متخلفا تماما على الصعيدين النظري والعملي قياسا بالمسائل الأخرى هي موضوعة الزي واللباس. فبالرغم من إنها تعد من أخطر الحلقات التي تكمل سلسلة الاخضاع الحضاري الذي مارسه الغرب ضد شعوبنا الا أنها تعتبر الى حد الان المسألة الاكثر بداهة في سلوك وتصرف الملايين من المسلمين وتعامل في مجتمعاتنا بصفتها قيمة ثابتة وأصيلة. إن هذا الأمر قد يقود الى إخراج هذه الموضوعة من ساحة المعركة الحضارية مع الغرب التي بدأت تباشيرها الان والتي سيشتد اوارها في المستقبل، مما سيؤدي الى وجود ثغرة خطيرة

في إستعدادات الأمة الاسلامية لهذه المعركة ويخل أيضاً بقانون كليتها وشموليتها الذي أدى عدم إحترامه في البداية الى التبعية الحضارية التي نعيشها اليوم. وسنحاول أن نعرض بإختصار شديد أهمية هذه الموضوعة وإرتباطها الوثيق بمجمل التركيبة الحضارية الغربية وتأثيرها في المقابل على تركيبتنا الحضارية نحن.

إن الزي واللباس كما قيل هي الدار الأولى للانسان.. وهذه الدار كتلك التي يعيش فيها هذا الانسان هي نتاج حضاري أصيل تكون عبر آلاف السنين من التجربة التاريخية وهو جزء لا يتجزأ من الشكل العام والمحتوى لهذه التجربة، حيث يتفاعل وينسجم ويتكامل مع باقي الفقرات الحضارية الأخرى ويتطور بتطورها ويتكيف بتكيفها. فاللباس لا يمكن فصله عن أسلوب العيش وشكله الحضاري فهو لابد ان ينسجم مع أسلوب الأكل والشرب وأن يتكيف مع محيطه المادي من أثاث وعمارة وأن يتطابق مع شكل الممارسة العبادية. ولا يمكن فصله كذلك عن نهج معين في التفكير، فهو مرتبط بمناخ ثقافي وفكري معين مثلما هو مرتبط بإطار إجتماعي محدد يعبر عن شخصيته وشكله الحضاري. واللباس ايضا واقع إقتصادي يمثل مجموعة متكاملة من النشاطات الاقتصادية بتفرعاتها المختلفة، وهو نتيجة بيئوية حيث يعبر عن الجهد البشري في الكيف مع المناخ والوسط الجغرافي. بكلمة أخرى أن اللباس يمثل خلاصة وشكل ورمز التجربة التاريخية لحضارة ما والوجه المباشر في التعبير عنها.

وقد يقول قائل أن فقرات وعناصر الحضارة لا تظل ثابتة وقد تتغير والتحول الذي طرأ على لباسنا هو تعبير لهذا التغيير ليس أكثر. صحيح ان عنصرا (أو اكثر) من العناصر المكونة للشكل الحضاري لا بد أن يتعرض للتغير او للتطور وقد يضعه هذا في حالة تنافر مع باقي العناصر الأخرى. ولكن ليس بصورة دائمة إذ أما أن تنجح التركيبة التاريخية الحضارية في إعادة ربط وتوليف هذا العنصر مع باقي العناصر بعد أن تقوم بعملية مصالحة قد تؤدي الى حالة من التكيف الجماعي المتوازن الذي يضمن من جديد الانسجام والتكامل ويحافظ على الاستمرار والديمومة. وتمثل هذه الحالة أحد أهم اشكال حركية التغير التاريخي او التقدم الحضاري. أو أن يملك هذا العنصر المتنافر من مقومات الثبات والقوة أو الاصالة ما يسمح له بإحداث تغيرات جذرية متواترة تصيب العناصر الأخرى وتجبرها على التكيف معه ضمن تركيبة جديدة تقوم مقام التركيبة التاريخية السابقة. وتمثل هذه الحالة نهاية دورة تاريخية أو حضارية وبداية دورة أخرى جديدة. وفي كلتا الحالتين يستمر النفس التاريخي المعبر عن حضارة الأمة وتتصل بداياتها مع نهاياتها في نسق تاريخي يتواصل نبضه وتستمر روحه ما دامت هذه التفاعلات تتم داخل الوعاء الحضاري الأم. ولكن متى ما أصاب التغير عنصرا أو جانبا من التركيبة التاريخية بشكل يخرجه من مداره التاريخي الخاص ووسطه الحضاري ليرميه في دائرة حضارية أخرى مسببا عزله عن باقي العناصر ومانعا إياه من التفاعل معها من جديد في إطار محيطها الطبيعي، عندها يعم الارتباك وتبدأ العناصر الحضارية الأخرى بالتفكك

ويفقد الشكل التاريخي إنسجامه وتنقطع ديمومته وتخرج الأمة من تاريخها الخاص لا لتدخل في تاريخ الاخرين ولكن لتبقى هامشا لهذا التاريخ او ذاك وروحا حائرة تهيم محلقة فوق خرائب عمارة لها كانت زاهية. هذا ما حدث لنا فيما يخص الزي وهو ليس تغيير وتغير بل تغريب وتغرب أحدث تداعيا في عناصر معادلتنا الحضارية مسببا سلسلة متصلة من الانهيارات شملت كل مرفق له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالزي واللباس.

بدايات الأختراق

أخذ اللباس الغربي يصبح ظاهرة متنامية الانتشار ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر أي في الفترة التي كان الاستعمار الغربي قد نفذ إلى عمق قاتل في جسد الدولتين العثمانية والقاجارية وفرض هيمنته على الهند ومعظم أرجاء العالم الاسلامي. وفي هذه الاثناء كانت موضوعة عالمية الحضارة الغربية بإعتبارها النموذج المثالي والخلاصة النهائية للتجربة التاريخية للانسان تقوى وتتعزز بصورة تصاعدية مع إشتداد قبضة الهيمنة الاستعمارية. وقد إستطاعت هذه الموضوعة ومحمولاتها الفكرية أن تخترق في البداية الحلقات الضعيفة والمناطق الهشة في جسد الأمة الاسلامية.. وكانت هذه تتمثل أولا في الدوائر العليا في أجهزة الادارة والحكم المعنية بالدرجة الاولى بمصائر البلاد وبمشاكل «تخلفها» والتي اعطتنا فيما بعد نموذج «المصلح الاجتماعي» أمثال مدحت باشا في الدولة العثمانية وسير سيد أحمد خان في الهند والتي تداعى تأثيرها فيما بعد الى حلقات إجتماعية أخرى. وكانت هنالك في المرتبة الثانية أهل الكتاب وأصحاب العقائد الأخرى من الذين كان الغرب يعمل على عزلهم عن البنية الاجتماعية للأمة الاسلامية ويهيئهم ليكونوا حصان طراودته المشهور. وقد رافق ظهور الزي الافرنجي إنتشار تلك الأفكار فتواجد حيثما تواجدت وساد وإنتشر بتوسع وإنتشار الفئات التي تعتنقها بحيث أصبح الشكل المعبر عنها والملازم لها، ولذا يمكن إعتباره أول تعبير للملامح ووجه الاختراق الغربي لبلادنا. وبتكامل هذا الاختراق أصبح هذا الزي هو المرادف الموضوعي لمفهوم «التقدم» ولتفرعات وتفصيلات هذا المفهوم ومنها «الثقافة» التي لعبت دورها الخطير المعروف بتخريب مجتمعاتنا. وبإنقضاء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أصبح هذا اللباس ظاهرة متمكنة وغالبة في المدن وبدأ اللباس الاسلامي في الإنحسار شيئاً فشيئا لتبدأ عملية تمايز سكاني على أساس هذا المعيار أخذت أبعادا إجتماعية وسياسية خطيرة. حيث أخذت المدينة تميز نفسها إجتماعياً وثقافياً على الريف الأمر الذي أدى بدوره الى نتائج سياسية وإقتصادية مهمة. وبدأت الفئات التي رفضت هذا اللباس توصف على أساس «التخلف» و«التأخر» و«الجمود» و«التحجر» وأصبحت تعامل على هذه القاعدة مما أوقع عليها الكثير من الحيف والظلم.

الإسلام هو المستهدف

بعد نهاية الحرب الأولى وبعد تفتيت الكيانات السياسية الكبرى وتقسيمها الى بقع جغرافية سميت فيما بعد بالدول القومية وفي جو غلبت عليه روح الهزيمة وتكرست فيه مصداقية قيم المنتصر إعتمد الزي الغربي

كلباس رسمي في هذه البلاد وشن دعاة «التقدم» و «التخلص من قيود الماضي» حملة مسعورة ربما كانت الأخيرة ضد إشكال المقاومة الاسلامية في هذا المجال بلغت ذروتها في تركيا حيث أجبر الناس بالقوة على التخلي عن زيهم التقليدي فهتك حجاب النساء وشقت الثاب على الاجساد في الشوارع ووضعت القبعة محل العامة والطربوش والزم الرجال بلبس السراويل الافرنجية.

وصاحب هذا استبدال الحروف العربية للغة التركية بالحروف اللاتينية ومنع إقامة الآذان باللغة العربية منع تعليم الدين الاسلامي والقرآن الكريم في المدارس. كان هذا هو عقاب الشعب المسلم في تركيا على إحتفاظ عاصمته بمقر الخلافة الاسلامية لمدة خمسة قرون. كانت المعركة اذن تدار في مواجهة الاسلام وكان الزي أحد جوانبها بل أخطر جوانبها لأنه استعمل كمظلة لها حيث دارت في ظله معارك مفاهيمية خطيرة بين دعاة التغريب وبين حملة لواء الاسلام مرر خلالها أعداءه بصمت طعناتهم المسمومة ضد المسلمين وعقيدتهم. فعبر الكلام عن الزي ومن منطلقي «التقدم» و «التخلف» كانت تناقش أهلية البنى والمؤسسات الاسلامية وعبر هذا النقاش توضع مصداقية التعاليم الاسلامية بمجموعها موضع تساؤل لكي يصلوا الى نتيجة مفادها أن الاسلام لا يتماشى مع «روح العصر». والعصر هذا وروحه كما نعرف جيدا لا يعنيان غير الغرب وحضارته المثقلة بذهب ودماء الشعوب وفي مقدمتها المسلمون. وهكذا أصبح الزي هو المحور الرئيسي الذي يستقطب حوله مساحات النزال الرئيسية بين الغرب والاسلام والطريق الموصل بين خطوط العدو الخلفية وخطوطه الامامية. وقد إتضح هذا جيداً في الحملة التي شنت حول «تحرير المرأة» في البلدان الاسلامية.

مسألة المرأة

شكلت مسألة المرأة أفضل معاير الاستعمار الغربي للهجوم على الاسلام. حيث عبأ الغرب الرأي العام في بلدانه ولفترة تجاوزت القرن بأساطير حول الظلم الذي تعانيه المرأة الشرقية وخلق بخياله المريض خرافات هائلة عن نساء مكدسات في القصور شبه سجينات لا يرون الشمس.

سوف لن ندخل هنا في نقاش حول الجهل القاطع للغرب بأحوال المرأة المسلمة ولا حول لؤمه المتعمد في ترويج هذه الأفكار مع علمه ببطلانها ولن نناقش كذلك وضع المرأة عندهم بالرغم من أن هذا قد يكون مفيدا جدا لمن لا يعلم أي من المرأتين تعاني الظلم والاستغلال حقا. لكننا سوف نكرر فقط ما يعرفه الكثيرون وهو أن الغرب في مجرى إستعداداته لاستعمار الشرق لم يكن يتورع عن تسمية الليل بالنهار والنهار بالليل لكي ينزع الشرعية التاريخية عن دول الاسلام ممهداً لغزوته الدموية. كان موضوع المرأة إحدى مطارقه لتهديم صرح الاسلام مثلها مثل موضوع «أهل الكتاب» الذين سماهم «بالاقليات» ومثل غرس اسرائيل في قلب دار الاسلام. ان المؤلم حقا هو ان المسلمين انفسهم وقعوا في هذا الشرك وبدأوا في الكلام عن تحرير وتحرر المرأة المسلمة وحقوقها. ولكن بدلا من أن يبحثوا في الاسلام ليروا ما هي هذه الحقوق وكيف

هضمت تحولوا بأبصارهم الى الغرب ليروا المرأة هناك وهي سافرة (كما كانت على الدوام) تجلس وترقص مع الرجال تلبس ما تنتجه بلادها وقالوا هكذا تريد ان تحرر المرأة المسلمة. أي أن حقوق المرأة المسلمة إختزلت في السفور وفي نزع الحجاب وفي لبس الزي الغربي ورفع الحيف عنها أصبح يعني ان عليها ان تتمثل المرأة الغربية في مظهرها وسلوكها. فتدخل الزي هنا مرة أخرى ليصبح اطار أشرس حملة قادها الغرب ضد العائلة الاسلامية وبنيتها التاريخية. فبعد أن ألبس الراجل القبعة والسروال ونزع عن المرأة الحجاب طلب منهم أن يتيكفوا مع ملابسهم الجديدة فكريا ومعيشيا وماديا وهنا بدأت سلسلة من التحولات الحياتية في حياة الأسرة أخذت تتداعى امامها قيم وتقاليد عزيزة حافظت على كيان الأسرة الاسلامية وعززت ظهر الاسلام لأكثر من ثلاثة قرون..

وينفرط العقد..

لقد فرض اللباس الافرنجي على المسلم والمسلمة أن يتكيفوا فكريا مع المناخ «الحضاري» الذي يفرضه عليهم هذا النوع من اللباس وهذا يعني أن يغيروا ما حولهم لكي يتماشى مع الجو النفسي الجديد. فالسروال الضيق بالنسبة للرجل والفتسان اللاصق بالجسد بالنسبة للمرأة باتا لا يصلحان للجلسة الواطنة القريبة من الأرض التي يتميز بها الأثاث الاسلامي والشرقي عموما. إذن لابد من أثاث مصنوع بشكل آخر ينسجم اكثر مع القيافة الجديدة.. ومن يملك خبرة أفضل ونماذج أكثر غير نفس المصدر الذي جاءت منه الملابس؟ وهنا تبرز مشكلة جديدة، فالبيت الشرقي النموذجي الذي لائم نفسه عبر مئات بل آلاف السنين مع نوع معين من الأثاث ومع أسلوب محدد من عيش بات هو ايضا لا يصلح للانماط الوافدة. إذن لابد أن يتغير البيت ما دام المصدر معروفا والبضاعة موجودة، وما على الناس إلا أن يطلبوا لكي يتناغم اللباس الغربي مع الأثاث الغربي مع البيت الغربي. ولا تتوقف السلسلة بل تستمر، ولكن بحلقات قد تكون اخطر لأن هذه الأنماط الغربية في العيش لابد وأن تربط صاحبها نفسيا وثقافيا وحياتيا بنموذجه وبمصدر انتاج أساليب عيشه وهنا يكمن فخ أكبر وأدهى من السابق قد يقع فيه حتى أولئك الذين يعادون الغرب بل وحتى المتصدين له من منطلق اسلامي.

ويستمر الخراب..

إن موضوعة الزي لا تقف عند حدود الأسرة بل تتعداها لتشمل البلد نفسه، فبالاضافة الى الاضرار التي سبق ذكرها والتي تنعكس هنا بصورة قوانين وحالات إجتماعية وثقافية وسياسية لا يقل الضرر الاقتصادي أهمية حيث أن ثمن تبني الزي الغربي، هو تحطيم جميع الدورات الاقتصادية التي تتشكل حول صناعة الملابس بأنواعها المختلفة، بل ويمتد الضرر الى الزراعة نفسها لارتباطها بالتشكيلات الحرفية الصناعية في هذا الميدان من جانب، ولعلاقتها بالثروة الحيوانية والمراعي التي يشكل غيابها تهديدا خطيرا لمستقبل الزراعة من جانب اخر، كما يكون البلد قد زاد من تبعيته الاقتصادية للغرب في كافة المجالات التي سبق ذكرها معرضا بذلك استقلاله السياسي نفسه للخطر.

النواة الصلبة

قد يبدو مما تقدم أننا نجحف حق الذين قاوموا هذا التيار وخاضوا فيه معارك عنيفة مع الغرب ودعاته وحافضوا على زيهم وعاداتهم الى وقتنا الحاضر. نحن نقول أننا بفضل هؤلاء وإصرارهم على التمسك بإسلامهم وتقاليدهم استطعنا أن نفهم حقيقة معركتنا مع الغرب وأن يصبح بالامكان كتابة هذا النوع من الكلام ولكن بالرغم من هذا، علينا الاعتراف بأن الظاهرة الغالبة في بلداننا هي ظاهرة الزي الغربي وخصوصا في المدن وهي كثيرة ومكتظة بالسكان بعد ظاهرة إفراغ الريف التي شهدتها بلداننا منذ سنوات. وقد حافظت على ازيائنا التقليدية فئات معينة كانت بطبيعتها اكثر الفئات مناعة في وجه الغزو الغربي، وهي فئات العلماء ورجال الدين بالاضافة الى التشكيلات الاجتماعية التي إحتفظت بكياناتها الأساسية خارج المدينة مثل العشائر. وبعض شيوخها ورؤسائها وفئات واسعة من الفلاحين بالاضافة الى أن المدن لم تفرغ تماما ممن احتفظوا بلباسهم الاسلامي، مع عدم إغفال ملايين النساء من الأجيال المختلفة اللواتي رفضن أن يصبحن دمى كما أرادوا لهن أن يكونوا وبقين شاددي بأيديهن حجاب الله وستر الاسلام وعفته.

والآن..

وإن حل مسألة الزي الغربي سوف لن تأتي منعزلة عن مجمل المعركة التي يخوضها الاسلام اليوم والمعارك التي سيخوضها غدا انشاء الله. إنها مرتبطة بها ومكملة لها. وسيجد المسلمون فرادى، كل ضمن وضعه الخاص أو موقعه من المعركة، مخرجا لهذا الفخ، كما أن مجمل الوضع مرتبط بالخط البياني لمعارك الاسلام نفسها. إن الدعوة الى رمي اللباس الغربي مرة واحدة (يستثنى من هذا الكلام مسألة الحجاب فهي واجب ديني) هي دعوة قد تحمل بلا شك الكثير من المجانية والمزايدة المؤذية، بالاضافة الى أنه قد تكون هنالك إستحالات حقيقية على المستوى العملي. فاللباس الغربي قد لا يكون في هذه المرحلة بدون نفع تماما؛ حيث يجب أن لا ننسى بأنه لباس العدو – الخارجي والداخلي – وقد يتطلب خوض المعركة ان نلبس لباس العدو بل أن نلبسه ونبرع في لبسه ما دام هذا يعمي عن المسلمين عيون اعداء الاسلام. ويضرب لنا الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، مثلا في الحنكة السياسية وبعد النظر حين أمر اهل الذمة أن يميزا لباسهم عن المسلمين لكي لا يضيعوا فيهم ويحسبون من الجند مما قد يعرض المسلمين للخطر. أما الآن فالصورة قد إنقلبت، إذ أن أعداء الاسلام هم الذين لا يريدون هذه المرة أن يميز المسلمون انفسهم عنهم، وقد يكون في هذا مكمن النفع الذي يجب ان لا ننسى وضعه في حدوده النسبية دائما، فالمهم هو أن لا يغيب عن بالنا أن اللباس الغربي ليس بديهة حياتية وحضارية بالنسبة لنا بل هو لباس الغفلة بل قل الذلة الذي فرض علينا في وقت الهزيمة وإنه شاهد ورمز للمعركة التي خسرناها والتي يجب كسبها من جديد.. معركة الحضارة.

شهاب الدين الحسيني

تواصل الطليعة الإسلامية نشر أجزاء من تراث الأمة الحديث حول وحدتها، المقال التالي نشر في «رسالة الإسلام» ثم أعيد نشره في كتاب «الوحدة الإسلامية» (ص ٨٢ – ٩٦) الذي نشر في بيروت عن مؤسسة الأعلمي ١٩٧٥م..

التقريب بين المذاهب الاسلامية ودراسة علم التوحيد

لفضيلة الاستاذ الجليل
الشيخ عبد المتعال الصعيدي

– ١ –

التقريب بين المذاهب الاسلامية غاية من أسمى الغايات، وهي السبيل إلى عودة المسلمين إلى سابق مجدهم، لأن التقريب بين مذاهبهم يوحد بينهم، ويعيد عهد الإخاء الذي مكن لهم في الأرض، بما كان لهم فية من طهارة وقداسة، جذبت الناس إلى دينهم، ونشرته بسرعة فائقة في سائر أنحاء الأرض.

ولكن هذه الغاية لا يمكن أن نصل اليها ما دامت دراسة علم التوحيد باقية على حالها القديم، بل لابد أن نعيد تدوينه من جديد، لندرس فيه الفرق الاسلامية دراسة جديدة تقرب بينها، وتجعل منها فرقاً متصافية متحابة، لا يفرق بينها الخلاف في الرأي، ولا يجعل فرقة منها تنظر بعين العداء إلى الفرقة الاخرى، لأنها ضالة أو فاسقة في نظرها، إلى غير هذا من الأوصاف التي تكيلها كل فرقة للأخرى في ذلك العلم، ولا يمكن أن يكون التقريب بين المذاهب معها خالصاً ظاهراً وباطناً.

لقد نشأ علم التوحيد بين الخصام والعداء ثم شب وشاخ بينهما، حتى تأصلت فيه جذورهما، فكانت أول مسألة أثيرت فيه مسألة مرتكب الكبيرة، أثارها الخوارج والسيوف تلمع في أيديهم، والخصام بينهم وبين جمهور المسلمين قد بلغ غايته حتى كانوا يرعون دم الذمى، ولا يرعون دم أخيهم المسلم، لأنهم كانوا يرون أن مرتكب الكبيرة كافر مستباح الدم، مع أن كفره لو سلم لا يبلغ في القبح مبلغ غيره من الكفر.

ثم ثارت هذه المسألة بين الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء، ففرقت بينهما، وجعلت التلميذ ينابذ استاذه ويخاصمه،

ويعتزل مجلسه إلى مجلس آخر يكون له فيه أشياع ينابذون ويخاصمون أشياع استاذه، وقد كان واصل يرى في مرتكب الكبيرة أنه ليس بمؤمن ولا كافر، وإنما هو منزلة بين المنزلتين، يعني أنه فاسق، ولكنه كان يرى أنه مخلد في النار كما كان يرى الخوارج، فيكاد الخلاف بينه وبينهم يكون لفظياً، وقد قيل إن الحسن البصري كان يعد مرتكب الكبيرة منافقاً، فإن صح هذا عنه عد منهم، لأنه لم يكن يوافقهم في جعل علي ومعاوية ونحوهما من مرتكبي الكبائر، فكان يحفظ للصحابة صحبتهم، ولا يتنكر لهم كما تنكر الخوارج نحوهم.

ثم جاءت مسألة الكلام وخلق القرآن في علم التوحيد بعد مرتكب الكبيرة، فزادت فيه النار اشتعالا، وكانت وقوداً صالحاً لنار الخصومة بين المعتزلة ومن يخالفهم فيها من أهل السنة وغيرهم، ولا سيا في عهد المأمون ومن أتى بعده من ملوك بني العباس إلى المتوكل، إذ تعصبوا للمعتزلة على غيرهم من الفرق، وكالوا بكيلين للرعية التي قاموا بالحكم فيها ليكيلوا لها كيلاً واحداً، فكان كل من يقول بخلق القرآن له حظوتهم، وكل من لا يقول به يعزل من وظيفته في القضاء وغيرها وينال ما ينال من العذاب والسجن، حتى انقسمت الرعية على نفسها انقساماً شنيعاً، ونال أهل السنة من الأذى ما لم ينله المخالفون للعباسيين في دينهم.

فلما جاء المتوكل بعد اولئك الملوك قلب للمعتزلة ظهر المجن، وظاهر أهل السنة عليهم، فكال للمعتزلة بمثل ماكانوا يكيلون به لغيرهم، ويقال إنه كان يظاهر فريقاً مخصوصاً من أهل السنة، وهم فريق الحشوية الذين كانوا يحسبون من أهل السنة في ذلك العهد.

وقد مكث ذلك الخصام قائماً بين أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من الفرق الإسلامية إلى أن ظهر أبو الحسن الأشعري، وكان تلميذاً لأبي علي الجبائي من المعتزلة، وقد مكث أربعين سنة يأخذ علم التوحيد عليه وعلى غيره من علماء هذه الفرقة، ثم انقلب عليهم مرة واحدة، فكان شديداً في انقلابه عليهم، إذ انقطع عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، ثم خرج بعدها إلى المسجد الجامع بالبصرة، فصعد المنبر وقال: معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة، لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى، فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ماكنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به، ودفع الكتب للناس، فنها كتاب اللمع، وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه: كشف الأسرار وهتك الأستار، وغيرها من كتبه.

وفي رواية أنه رقي كرسياً في الجامع ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي، أنا فلان ابن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وان الله لا تراه الأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة، مخرج لفضائحهم ومعايبهم.

فزادت الخصومة اشتعالاً في علم التوحيد، ولاسيما أن أبا الحسن الأشعري لم يمكنه التخلص من كل آثار المعتزلة، بل بقي في مذهبه قليل من آثارهم، ولم يتجاف التأويل في بعض الآيات المتشابهة، كما كان يتجافاه القدامى من أهل السنة فوقع بهذا بين نارين، وقامت خصومة شديدة بينه وبين المعتزلة والقدامى من أهل السنة وغيرهم، وانتصر الملك طغر لبك السلجوقي للكرامية في خراسان وغيرها من مملكته الواسعة على أتباع الأشعرى، فعذبهم وشردهم ونفاهم من مملكته، ففروا منها إلى غيرها من البلاد، كما فر إمام الحرمين إلى بلاد الحجاز، وكذلك غيره من أئمة الأشعرية.

— ٢ —

لم يقتصر الأمر في علم التوحيد على ما سبق من الخصومات التي قامت بين أصحابه من مبدئه الى منتهاه، بل تجاوز الأمر هذا الى ما هو أخطر منه، فعمل أصحابه على أن يقيموا الخصومة فيما بينهم على أساس من الدين، لتكون خصومة مشروعة لا إثم فيها، بل يثاب أصحابها عليها، وكان هذا بأن ضيقوا في أمر هذا العلم، وجعلوه لا يتسع لأكثر من مذهب واحد، يكون صاحبه هو الطائع الناجي ويكون من عداه هو العاصي الهالك، وبنوا هذا على حديث اشتهر فيما بينهم، من غير أن يبحثوا في صحته من جهة سنده، ومن جهة ملاءمته لطبيعة الإسلام، وانسجامه مع أصوله المعلولة منه بالضرورة.

وهذا أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي صاحب كتاب (الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم) يجعل الباب الأول من كتابه في بيان ذلك الحديث المأثور في افتراق الأمة، وبيان الفرقة الناجية من فرقها، فرواه من ثلاث طرق، ثم رتب عليه ما أراده من وضعه في الباب الأول من كتابه، وهذه طرقه الثلاث في روايته:

١ — أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد بن بشار الاسفراييني، قال: أخبرنا عبدالله بن ناجية، قال: حدثنا وهب بن بقية، عن خالد بن عبدالله، عن محمد ابن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة.

٢ — أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن علي بن زياد السندي العدل الثقة، قال: أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، قال: حدثنا الهيثم بن خارجة، قال: حدثنا اسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عبدالله ابن يزيد عن عبدالله بن عمرو، قال: رسول الله ﷺ: ليأتين على امتي ما أتى على بني اسرائيل، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة، تزيد عليهم ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: يارسول الله، وما الملة التي تنقلب؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي.

٣ — أخبرنا القاضي أبو محمد عبدالله بن عمر المالكي، قال: حدثنا أبي، عن أبيه،

قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الاوزاعي ، قال : حدثنا قتادة ، عن أنس ، عن النبي عليه السلام ، قال : إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن امتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة.

ثم ذكر بعد رواية هذه الطرق أن للحديث الوارد في افتراق الامة أسانيد كثيرة ، وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة ، كأنس بن مالك وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي بن كعب ، وعبدالله ابن عمرو بن العاص ، وأبي أمامة ، وواثلة بن الأسقع .. وغيرهم .

ثم ذكر أن النبي ﷺ لا يريد من الفرق المذمومة التي هي من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه ، مع اتفاقهم على اصول الدين ، لأن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين :

أحدهما : قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه ، وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون .

والثاني : قول من يرى في كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه ، وتخطئه الباقين من غير تضليل منه للمخطئ فيه .

فلا يريد النبي ﷺ عنده بالفرق المذمومة ، إلا فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في أبواب العدل والتوحيد ، أو في الوعد والوعيد ، أو في بابي القدر والاستطاعة ، أو في تقدير الخير والشر ، إلى غير هذا من الأبواب التي اتفق فيها على أصل واحد أهل السنة والجماعة من فريقي أصحاب الرأي وأصحاب الحديث ، وخالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية وغيرهم من فرق الضلال ، وبهذا صح عنده تأويل ذلك الحديث إلى هذا النوع من الاختلاف ، دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام ، وليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع .

ولكن ما يراه ابو منصور البغدادي من صحة هذا الحديث غير مسلم له ، فقد قال ابن حزم في كتابه — الفصل — : ذكروا حديثاً عن رسول الله ﷺ ، أن القدرية والمرجئة مجوس هذه الامة ، وحديثاً آخر : تفترق هذه الامة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاشا واحدة . وهذان حديثان لا يصحان أصلا من طريق الإسناد ، وما كان هكذا فليس بحجة عند من يقول بخبر الواحد ، فكيف من لا يقول به؟

وقال ابن الوزير في كتاب — العواصم والقواصم — : إياك أن تغتر بزيادة «كلها في النار إلا واحدة فإنها زيادة فاسدة ، ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة» .

ومما طعن به في سند ذلك الحديث أن فيه محمد بن عمرو الليثي ، وهو ممن أخرج له الشيخان في المتابعات فقط ، ومثله لا يحتج بحديثه إذا لم يتابع ، وقد قال فيه الذهبي : محمد بن عمرو لم يحتج به منفرداً ، ولكن مقروناً بغيره ، وكذلك في بعض سنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وفي بعضه كثير بن عبدالله ، وفي بعضه عباد بن يوسف ، وراشد

بن سعد ، وفي بعضه الوليد بن مسلم ، وفي بعضه مجاهيل كما يظهر من كتب الحديث .

على أن ذلك الحديث قد أخرجه صاحب مسند الفردوس بزيادة تناقض الزيادة السابقة «كلها في النار إلا واحدة» ، فقال : أخبرنا أبو ثابت بن منصور ، أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسين الأبهري ، حدثنا صالح بن أحمد الحافظ ، حدثنا ابراهيم بن محمد بن يعقوب ، حدثنا الحسن بن زولاق ، حدثنا بن حماد ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن ياسين الزيات ، عن سعد بن سعيد أخي يحيى ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : تفترق امتي على بضع وسبعين فرقة ، كلها في الجنة إلا الزنادقة .

وقد قال الشمس محمد بن احمد البشاري المقدسي في كتاب — أحسن التقاسيم — بعد أن عدد الفرق وذكر حديث «اثنتان وسبعون في الجنة وواحدة في النار» ، وحديث «اثنتان وسبعون في النار وواحدة ناجية» : هذا أشهر ، والأول أصح إسناداً .

ولكن بعض من ينتصر لزيادة «كلها في النار إلا واحدة» رأى أن يوفق بين الحديثين ، حتى لا تبطل هذه الزيادة بالمعارضة بينهما ، فحمل أحدهما على الإبتداء ، والآخر على الإنتهاء ، يعني أن هذه الفرق تدخل النار كما يدخلها سائر العصاة ، ثم تخرج منها وتدخل الجنة كما يدخلونها بعد تعذيبهم على عصيانهم ، وبهذا يصح أن يقال في هذه الفرق «كلها في الجنة إلا الزنادقة» لأنها تدخل الجنة في نهاية أمرها ، أما الزنادقة فيخلدون في النار ، لأنهم يخفون الكفر ويظهرون الإسلام ، وهذا التوفيق إنما يقبل بعد صحة الحديث الذي وردت فيه تلك الزيادة «كلها في النار إلا واحدة» فإذا لم يكن صحيحاً كما سبق لم يقبل حمل الآخر عليه ، لأنه لا يقبل حمل صحيح على غير صحيح .

ثم إن تفرقة أبي البغدادي بين المختلفين في الاصول والمختلفين في الفروع غير مقبولة ، لأنه بنى هذه التفرقة على أن ما اختلف فيه أئمة الفقه ليس فيه بينهم تكفير أو تضليل ، ومثل هذا لا يصح ان يبنى عليه تفرقة بين الفريقين لأن تكفير بعض المختلفين في الاصول لبعض ، أو تضليل بعضهم لبعض ليس في شيئ من الصواب ، وكان الواجب أن يقتصر ما بينهم على الإقناع بالدليل ، من غير أن يطعن أحدهم في الآخر بكفر أو تضليل ، وهذا هو ما تسعى اليه الآن جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، فإذا وصلت إلى هذا — وستصل اليه إن شاء الله تعالى — جرى الخلاف بين المختلفين في الاصول كما يجري بين المختلفين في الفروع ، فلا يكون بينهم طعن في العقائد ، ولا يكون هناك وجه لتلك التفرقة التي ذهب اليها أبو منصور البغدادي ، وقامت على أساسها دراسة علم التوحيد ، كما قامت على أساس ذلك الحديث السابق ، وكلاهما غير صحيح .

— ٣ —

إذا أردنا أن نعرف حقيقة حكم الإسلام في خلاف أن الفرق في الاصول ، وجب أ نعرف : هل هناك ما يقتضي وجود هذا الخلاف؟ لأنه إذا كان هناك ما يقتضي وجود

الخلاف في الاصول ، وجب أن يقبل الخلاف بين الفرق فيها ، كما يقبل في الفروع ، فلا يكون هناك فرق بين ما يقبل الخلاف من اصول الدين وفروعه ، بل يجب أن ينظر إلى الخلاف في البابين نظرة واحدة ، لأن قبول الخلاف في أحدهما دون الآخر ، يكون تحكماً غير مقبول.

وقد ذكر ابن رشد في كتاب – فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال – أن معرفة الله تعالى هي السعادة التي دعت اليها الحكمة والشريعة ، وقد أمر بها كل مسلم من الطريق الذي تقتضيه طبيعته من التصديق ، لأن طباع الناس في التصديق متفاضلة ، فمنهم من يصدق بالبرهان ، ومنهم من يصدق بالدليل الجدلي ، ومنهم من يصدق بالدليل الخطابي ، لأنه ليس في طبع كل واحد منهم أكثر من ذلك ، ثم ذكر أنه لما اختصت شريعتنا بدعوة الناس من هذه الطرق الثلاث ، عم التصديق بها كل إنسان ، إلا من يجحدها عناداً بلسانه ، أو من لم تتقرر عنده طرق الدعوة فيها إلى الله لإغفاله ذلك من نفسه ، وخص النبي ﷺ بالبعث إلى الأحمر والأسود ، لتضمن شريعته طرق الدعوة إلى الله تعالى ، كما جاء في قوله تعالى : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن» فالحكمة إشارة إلى البرهان ، والموعظة إشارة إلى الدليل الخطابي ، والجدال بالتي هي أحسن إشارة إلى الدليل الجدلي.

وقد اقتضى هذا أن تختلف نصوص القرآن إلى محكم ومتشابه ، كما اقتضاه نزول القرآن في أعلى درجات البلاغة ، لتدخل بلاغته في إعجازه ، كما يدخل غيرها من وجوه الإعجاز ، ولابد في البلاغة من استعمال أساليب المجاز والإستعارة والكناية ، وما إلى هذا من أساليبها ، وهذه الأساليب كثيراً ما تقتضي وجود قسم المتشابه في نصوص القرآن .

وهذا المتشابه من نصوص القرآن هو الذي اقتضى وجود الخلاف بين المسلمين في الاصول ، كما يشير الى هذا قوله تعالى : «هو الذي انزل عليكم الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الألباب» [١] ، وقد اختلف العلماء في تأويل المتشابه ، ففريق يمنعه لأنه يقف على قوله «إلا الله» فيكون مما استأثر الله بعلم تأويله ، وعلى الراسخين في العلم أن يؤمنوا به من غير تأويل ، وربما يشهد لهذا قوله : «فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله» ، وفريق لا يمنع التأويل لأنه يقف على قوله : «والراسخون في العلم» فيكون الراسخون في العلم ممن يعلم تأويل المتشابه ، ويجوز لهم أن يذهبوا إلى تأويله اذا لم يكن قصدهم به ابتغاء الفتنة ، وإرادة تفريق كلمة المسلمين ، وإيقاع العداوة والخصام بينهم ، وإنما يكون قصدهم الوصول الى الحقيقة ، والإجتهاد في معرفة المقصود من المتشابه .

وجمهور المسلمين الآن يذهب الى جواز تأويل المتشابه ، ويرى أنه إذا تعارض دليل

النقل ، ودليل العقل ، وجب تأويل دليل النقل بما يوافق دليل العقل ، والتأويل اجتهاد في النص ، فيجب أن يباح لمن يبلغ رتبة الاجتهاد من العلماء ، وأن ينظر الى المجتهد فه كما ينظر الى المجتهد فيه الفروع ، وأن يقبل الخلاف فيه كما يقبل الخلاف فيها ، لأن إباحة الاجتهاد في شيئ تقتضي إباحة الخلاف فيه ، إذ لا يباح الاجتهاد إلا فيما لا يقين فيه بدليل نقلي أو عقلي ، وعند فقد اليقين يأتي الخلاف ويتشعب الرأي ، ولا يليق بسماحة الدين أن يضيق في مثل هذا الخلاف ، لأنه لا يعلم فيه الحق بيقين ، فيكون من التحكم الإلزام فيه برأي من الآراء ، بل يكون لكل مجتهد رأيه فيه ، فإن كان مصيباً في الواقع فهو مأجور ، وإن كان مخطئاً في الواقع فهو معذور ، ولا يحرم من أجر على أجتهاده ، وتكون ميزة المصيب عليه أنه يؤجر أجرين : أجر على اجتهاده ، وأجر على صوابه .

وقد بلغ من تسامح القائلين بالتأويل ، وهم جمهور المسلمين ، أن ذهبوا الى أنه لا كفر مع التأويل ولو خرق الإجماع ، وقد أشار ابن رشد الى هذا في كتابه السابق ، فذكر أنه إذا كان في الشرع أشياء أجمع المسلمون على حملها على ظاهرها وأشياء أجمعوا على تأويلها ، وأشياء اختلفوا فيها ، فهل يجوز أن يؤدي البرهان الى تأويل ما أجمعوا على ظاهره أو ظاهر ما أجمعوا على تأويله؟ ثم أجاب عن هذا بأنه لا يصح ذلك إذا ثبت الإجماع بطريق يقيني ، وإذا كان ظنياً فقد يصح ، ولهذا قال الغزالي وإمام الحرمين : إنه لا يقطع بكفر من خرق الإجماع بالتأويل في أمثال هذه الأشياء .

ثم ذكر أنه مما يدل على أن الإجماع لا يثبت في النظريات بطريق يقيني كما يثبت في العمليات – الفروع – أنه لا يمكن ثبوته في مسألة ما في عصر ما إلا اذا كان ذلك العصر محصوراً عندنا ، وكان علماؤه معلومين عندنا بأعيانهم وعددهم ونقل الينا في المسألة مذهب كل واحد منهم بالتواتر ، وصح عندنا اتفاقهم على أنه ليس في الشرع ظاهر وباطن ، وأن العلم بكل مسألة لا يصح أن يكتم عن أحد ، وأن الناس طريقهم واحد في علم الشريعة ، وقد نقل عن كثير من الصدر الأول خلاف ذلك ، كما نقل عن علي رضي الله عنه أنه قال : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ فكيف يتصور مع هذا إجماع في مسألة نظرية ، ونحن نعلم أنه لا يخلو عصر من علماء يرون أن في الشرع أشياء لا يصح أن يعلم حقيقتها إلا أهل التأويل ، وهم العلماء الراسخون في العلم ، وهذا بخلاف العمليات – الفروع – لأن الناس كلهم يرون إنشاءها لجميع الناس على السواء ، فيكفي في ثبوت الإجماع فيها أن تنتشر المسألة فلا ينقل الينا فيها خلاف .

وقد ذكر ابن تيمية أن عدم الفرق في الاجتهاد بين الاصول والفروع هو قول السلف كأبي حنيفة والشافعي والثوري والظاهري وغيرهم – منهاج السنة النبوية جـ ٣ ص ٢٠ – وقد ذهب اليه بعدهم عبيد الله بن حسن العنبري ، وحجتهم في هذا أن النبي ﷺ قال : «إذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران ، وإن اخطأ فله أجر واحد» وأي

حاكم أحق بهذا من الذي يحكم على الوجود بأنه كذا أو ليس كذا، وما إلى هذا من المسائل العويصة في الاصول، وهؤلاء الحكام هم العلماء الذين خصهم الله تعالى بالتأويل، والخطأ المصفوح عنه هو الخطأ الذي يقع منهم، والخطأ الذي يقع من غيرهم إثم محض، لأنه ليس من أهل التأويل مثلهم. وهذا إلى أن التصديق بالشيء من جهة الدليل القائم بالنفس اضطراري لا اختياري، وإذا كان من شرط التكليف الاختيار فالمصدق بالخطأ لشبهة عرضت له معذور إذا كان من أهل العلم.

وبهذا يكون الخطأ على قسمين: خطأ يعذر فيه من هو من أهل النظر فيما أخطأ فيه، كما يعذر الطبيب الماهر إذا أخطأ في صناعة الطب، وخطأ لا يعذر فيه أحد من الناس، فإذا وقع في مبادئ الشريعة فهو كفر، وإذا وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة، وهذا الخطأ هو الذي يكون في الامور التي تؤدي جميع أصناف الأدلة إلى معرفتها فتكون معرفتها ممكنة لجميع الناس، كالإقرار بالله تعالى والنبوات والسعادة والشقاء الاخرويين، فالجاحد لها كافر معاند بلسانه دون قلبه، أو بغفلته عن معرفة دليلها، لأنه إذا كان من أهل البرهان فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالبرهان، وإن كان من أهل الموعظة فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالموعظة، وإن كان من أهل الجدل فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالجدل.

وإذا كان هذا شأن الخلاف في مسائل الاصول، وإذا كانت فرقها ناجية أصابت أو أخطأت، فإنه يجب أن يكون الجدال بين هذه الفرق بالتي هي أحسن، فلا يتعدى الإقناع بالدليل إلى إثارة الفرقة والخصام، ومحاولة التفريق بين المسلمين ليضعف أمرهم، ويتمكن أعداؤهم منهم، لأن من يقصد إلى هذا لا يكون مسلماً بل كافراً، ومن يفعله من غير قصد يكون آثماً لأنه يضر المسلمين بفعله، ولا يصح أن يعذر فيما يضر به غيره.

وكذلك لا يصح أن يتعدى الجدال بين الفرق حد الأقناع بالدليل إلى الطعن في الدين، والحكم على المخالف بفسق أو إثم، لأنه لا فسق ولا إثم في ذلك الخلاف، بل يكون الآثم والفاسق فيه هو من يحكم على المخالف بالإثم والفسق.

وقد سن القرآن الكريم سنة دعوة المخالفين في الدين من المشركين وغيرهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فأمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن، فقال تعالى: «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»(٢). وقال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن»(٣). ولا شك أن الموافقين لنا في الاسلام أولى بهذه المعاملة الكريمة عند الخلاف في أمر من امور الدين، فيجب أن يدعو بعضنا بعضاً بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجب أن يجادل بعضنا بعضاً بالتي هي أحسن حتى لا يفرق بيننا الخلاف في الرأي، ولا يثير بيننا شيئاً من العداوة والخصومة، ومن ميزة الاسلام أنه لم يجعل الخلاف بين الناس في الدين سبباً من أسباب العداوة بينهم، فلم يرض للمسلمين أن يعادوا غيرهم لمجرد الخلاف في الدين، ولهذا قال الله

تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين»(٤). ولا شك أن فرق المسلمين أولى بالموادة فيما بينهم، لأن الخلاف فيمابينهم لا يبلغ ما يبلغه الخلاف بينهم وبين غيرهم.

ويجب أن يكون هذا أيضاً شأن الفرق الناجية من المسلمين مع الفرقة غير الناجية، وهي فرقة الزنادقة، والهاء في زنادقة عوض عن الياء في زنديق، والزنديق فارسي معرب، كان أصله عندهم – زنده كرد – وزنده: الحياة، وكرد: العمل، أي يقول بدوام الدهر، ويقال له في العربية: ملحد، ودَهرى بفتح الدال، فإذا أرادوا معنى السن قالوا دهُري بضمها، وقال القاموس: الزنديق بالكسر من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإسلام، وهذا المعنى الأخير هو الذي يناسب عندي الحديث السابق: «تفترق امتي على بعض وسبعين فرقة، كلها في الجنة إلا الزنادقة» لأن الزنادقة بالمعنى الأخير يمكن أن يعدوا من فرق المسلمين بحسب ظاهرهم، بخلاف المعاني التي قبل المعنى الأخير، والزنديق بهذا المعنى يرادف كلمة منافق، وقد ظهر المنافقون في عهد النبي ﷺ، فكان يقبل منهم ظاهرهم ويجري عليهم أحكام المسلمين، ولا يكلف نفسه التفتيش عن عقائدهم، بل كان يقول: «امرت ان آخذ بالظاهر، والله يتولى السرائر». وقد روى عدي بن الخيار أن رجلاً سار رسول الله ﷺ، فلم ندرِ ما ساره حتى جهر رسول الله ﷺ، فإذا هو يستأذنه في قتل رجلين من المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولا شهادة له، قال: أليس يصلي؟ قال: بلى، ولا صلاة له، فقال النبي ﷺ: اولئك الذين نهاني الله عنهم.

ولا ينافي هذا ما ورد في سورة التوبة من التشدد في أمر اولئك المنافقين، لأن هذا كان في شأن فريق منهم كان يكيد للاسلام والمسلمين، ويقوم بالتجسس عليهم لأعدائهم، ولا يكتفي بما يبطنه من الكفر، فيخون وطنه كما يخون دينه، وخيانة الدين بإبطان الكفر يمكن الإغضاء عنها في الدنيا، ولا يمكن الإغضاء عن خيانة الوطن بذلك الشكل، لأن خيانته لدينه بإبطان الكفر يعود ضررها على نفسه، وخيانته لوطنه يعود ضررها على غيره، فلا يصح أن يغضى عنها كما يغضى عن الاولى.

---

(١) **آل عمران/٧.**
(٢) **النحل/١٢٥.**
(٣) **العنكبوت/٤٦.**
(٤) **الممتحنة/٨.**

باختصار ...

• من تقريرها السنوي العام في اكتوبر ١٩٨٤، أوردت منظمة العفو الدولية «أمنستى» تفاصيلا هامة حول الممارسات الصهيونية بحق شعبنا المسلم في فلسطين. وقد حوى التقرير الوثيقة الكثير عن عمليات الاعتقال بلا تحقيق وعن قرارات الاقامة الجبرية التي فرضتها سلطات الاحتلال العسكري ومددتها مراراً بحق عدد من المناضلين المسلمين في فلسطين وقد ذكرت منهم:

□ الدكتور محمد جودة طبيب في القدس، تم التحفظ وفرض الاقامة الجبرية من ١٩٨٣/٨/٢٨ ـ الآن.

□ الشيخ عبد العزيز عودة محاضر بالجامعة الاسلامية بغزة، الاقامة الجبرية من ١٩٨٣/٨/٢٨ ـ ١٩٨٤/٨/٢٨. ثم الاعتقال من ١٩٨٤/٨/٢٨ ـ الآن، و يحاكم حالياً لنشاطاته المعادية لاسرائيل.

□ الاستاذ رمضان شلح محاضر في الجامعة الاسلامية بغزة، تحت الاقامة الجبرية منذ ١٩٨٣/٨/٢٤ وحتى الآن.

□ الدكتور فتحي الشقاقي طبيب في القدس، بدأ فرض الاقامة الجبرية منذ ١٩٨٣/٨/٢٨ ـ أمضى فترة اعتقال منذ ٨٣/٩ ـ ١٩٨٤/٩ ولايزال تحت الاقامة الجبرية.

و يضاف الى القائمة السابقة عشرات الشباب المسلم المناضل الذين اعتقلوا منذ ١٩٨٣/٨ ولفترات متفاوتة.

• ذكر القادمون من قطاع غزة ان عمليات المقاومة ضد العدو المحتل قد تصاعدت مؤخراً بشكل ملحوظ، وقد وقعت عمليتان فدائيتان، احدهما في سهيلة، والاخرى في خان يونس، وقد اسفرتا عن وقوع قتلى وجرحى عديدين من صفوف قوات الاحتلال، طوقاً مسلحاً حول هلتين المنطقتين اضافة الى وسائل التفتيش القمعي. وقد احاط العدو هاتين العمليتين بالتعتيم الاعلامي.

• ومن قطاع غزة أيضاً، جاءت نتائج انتخابات نقابة المحامين في قطاع غزة، حيث فاز الاستاذ ابراهيم السقا المحامي بمنصب نقيب المحامين و بفارق كبير من الاصوات على مرشح اليسار فايز أبو رحمة الذي احتفظ بمنصب نقيب المحامين لعدة سنوات، و يأتي هذا الانحدار في مواقع اليسار داخل معظم الهيئات النقابية من قطاع غزة عاماً ومترافقاً مع انهيار معظم الرموز العلمانية والاطروحات اليسارية من فلسطين.

• أصدرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي في الوطن المحتل قائمة جديدة من الكتب الممنوع تداولها في فلسطين المحتلة والتي أضيفت الى آلاف من الكتب التي سبق منعها من قبل، القائمة الجديدة تضم:

□ الاسلام وتحديات الانحطاط المعاصر لمنير شفيق.

□ الافعى اليهودية في حصو في الاسلام عبد الله التل.

□ اليهود في القرآن. محمد أحمد دروزة.

□ اليهود في القرآن. الشيخ صلاح أبو اسم اعيل.

□ أصوات. لعماد الدين خليل.

وعدة كتب أخرى في السياسة والادب والاجتماع.

• أصدرت لجنة الدفاع عن المعتقلين في الجزيرة العربية بياناً ذكرت فيه أن عدد المعتقلين من الاسلاميين الذين عرفت اسمائهم قد وصل حتى نهاية العام الماضي الى ٦٥ معتقلا، تضم العلماء والطلبة والتجار والموظفين والمهنيين. منهم العلماء الافاضل: جواد علي جظر، علي عبد الكريم العوامي، فؤاد محمد ابراهيم الخيري، وحسين عبد الهادي بوخميس. وطالبت اللجنة بتضامن المسلمين في كل مكان مع اخوتهم المعتقلين.

• نسبت وكالة «فرانس برس» الى تقرير سري صدر عن اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، ان مواطناً سوفيتياً من بين كل ستة مواطنين يولد معتوهاً أو مصاباً بعاهة بسبب ادمان الخمور. وقال التقرير، ان الاتحاد السوفييتي كان يضم ٤٠ مليون مدمن على الخمر عام ١٩٨٠، وان الخودكا تقتل مليون سوفييتي كل عام.

• الاضواء والنيران الموقدة لايام طو يلة أمام منازل الهندوس في دبي، احتفالا بأعيادهم المقدسة، أحرقت في نهاية العام بنايتان قيمة كل منهما مليون درهم. أحد المسلمين تذكر معلقاً على الخبر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايجتمع دينان في جزيرة العرب».

- في لبنان تتابعت في الاسابيع الماضية انفجارات السيارات المفخخة من المناطق الاسلامية المأهولة بالسكان خصوصاً في مدينة طرابلس عاصمة الشمال اللبناني، الامر الذي ترافق مع حملة الكيان الصهيوني حول انفجار الوضع ي ´ نان بعد اعتزامه الانسحاب الجزئي من الجنوب اللبناني الامر الذي أثار شكوكاً حول تورط العدو في هذه الجرائم والذي اكدته نتائج التحقيق التي أجرتها القوى الاسلامية في طرابلس مع بعض منفذي هذه الانفجارات والذين كانوا من معظم الحالات من المارونيين سكان زغرتا التي يتزعمها الرئيس اللبناني الأسبق سليمام فرنجية، وتروي مصادر الاخبار ان هؤلاء العملاء قد قبضوا ملايين الليرات مقابل قيامهم بتلك المهمات التي ادت اليي عشرات القتلى ومئات الجرحى.

- يتوقع المراقبون ان تسفر الانسحابات الجزئية للعدو الصهيوني عن مناطق جنوب لبنان عن صفحة جديدة من الصراع بين سورية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية خصوصاً حول منطقة صيدا ـ عين الحلوة، حيث دعت المنظمة الى أن تتسلم قوات الامم المتحدة حماية المخيمات، وهو اقتراح رفضته سورية وكذلك لبنان خوفاً من عودة رجال عرفات الى جنوب لبنان من خلال مخيم عين الحلوة، ومن جهة أخرى تحاول سورية سداً للفراغ السياسي والعسكري المتوقع تحاول ان تشكل جبهة في تلك المنطقة من حركة مصطفى سعد (التنظيم الشعبي الناصري) والنائب البزري (نائب صيدا) وعناصر اخرى موالية لنبيه بري، بحيث تمنع هذه الجبهة تواجد قوات وعناصر قيادة منظمة التحرير. مصادر المقاومة الاسلامية في الجنوب أعربت عن قلقها من احتمالات هذا الصراع الذي قد يعرقل مسيرة المقاومة الاسلامية لتحرير كل الجنوب من الاحتلال الصهيوني.

- قام النظام الليبي في الاشهر الماضية باعتقال عشرات من الشباب الليبي المسلم بدون أي تهم محددة، باستثناء الرغبة في البطش والانتقام لحادث معسكر العزيزية الذي كاد أن يؤدي بحياة الطاغية القذافي نفسه، والذي كشف عن عدد من الثغرات والاهتراءات في نظام العقيد وأجهزته الامنية القمعية. و يتوقع القادمون من ليبيا أن يقوم النظام بحفلة اعدامات جديدة لاولئك الشباب الاطهار كتلك التي أجراها لعشرات مثلهم في شهر رمضان المعظم من العام الماضي، وذهب ضحيتها ثلة من أفضل الشباب المسلم، والتي جعلها القذافي مناسبة رهيبة لسحق شخصية ومعنو يات الشعب الليبي وقهره وتدمير كل امكانيات المقاومة والعزة والاباء.

- السلطات التركية تقبض على النساء المسلمات المحجبات بالعشرات ومن الشوارع وتقدمهن للمحكمة بتهمة مخالفة قانون ١٩٣٤ الذي خول السلطات المحلية بعدم السماح لاي شخص بأن يظهر «بمظهر لايعبر عن المستوى الحضاري للبلاد».
- حكمت السلطات السوفيتية على المواطن مصطفى جمبلوت من طشقند بجمهورية أزبكستان الاسلامية بالسجن لمدة عشر سنوات بعد أن اتهمته السلطات بدفن أبيه على الطريقة الاسلامية.

- في ١٩٨٤/٥/٢٥ أعدمت قوات صدام حسين الشيخ محسن البدري شقيق الشهيد الشيخ عبد العزيز البدري، و بعدها بأر بعة ايام تعرضت رابطة علماء الدين المسلمين في الرمادي لهجوم قوات النظام العراقي، حيث أغلقت وشرد خارج العراق العديد من علماء الرمادي. وفي نوفمبر من نفس العام أصدر حزب التحرير الاسلامي بياناً ينعي فيه استشهاد بعض ضباط الجيش العراقي من أعضاء الحزب و بعض أقاربهم واشقائهم والقائمة ضمت المهندس ماهر الشهبندر، والمهندس أحمد البنا وشقيقه حسن البنا والشيخ ناظم العاص وآخرين. هذا الخبر نقدمه لمن لازالوا يتصورون انها مسألة شيعة أو فرس!!.

- اصدر السيد سالم عزام، السكرتير العام للمجلس الاسلامي الاورو بي بياناً استنكر فيه عزم دائرة الامن القومي المصرية على احراق حوالي مليونان من الكتب الاسلامية التي تمت مصادرتها من منازل آلاف الشباب المسلمين الذين تم القبض عليهم عقب احداث اكتو بر ١٩٨١م وقد ذكر البيان أن من بين الكتب المنوى احراقها كتب للشهيد المفكر الاسلامي الكبير سيد قطب منها: في ظلال القرآن ومعركتنا مع اليهود وكتاب محمد قطب: جاهلية القرن العشرين. وكتب للمرحوم أبو الاعلى المودودي تضم: المصطلحات الاربعة ومنهج الانقلاب الاسلامي. وأضافة لما سبق العديد من كتب ابن تيمية وفضيلة الشيخ محمد الغزالي وسعيد حوى ومحمد البهي وكتاب للشهيد الدكتور صالح سرية. وقد اعرب السيد عزام عن استنكاره للقرار وعن ايمانه العميق بأن احراق الكتب الاسلامية لن يطفيء أبداً نور الاسلام الصاعد.

ونلتقي ...

مقاطع ...

(١)

وطائر جواده الرياح
يغزو به مواطن الشذى
فلا تطول دونه بطاح
ولايحول دونه مدى
يحط حيثما يشاء
في الجزر البعيدة
في القمم الفريدة

* * *

طاف الدنى
وجال في كل الزوايا الساهرة
وظل قلبه جراحاً فاغرة
عاد ليبتني
عشاً له
على خروبة في الناصرة.

(٢)

ان توضع في بئر مظلم
وتكبل بالقيد الادهم
ان تضرب بالسوط
وتسق كأس القهر
وتريك الدنيا ناب الغدر
لكنك تمضي تقرأ «والعصر»
فتأكد انك لن تهزم
لن تهزم

(٣)

وقال لي :
السوط ينفث اللظى
وعمرنا قصير
دولابه يدور في جنون
فما نكاد نغفو
وما نكاد نصحو
واذ بنا تدركنا المنون
ـ ياصاحبي
ان تمتليء بحبنا الكبير
ونعبر الحدود للجليل
نعش حياتنا كألف عام
كأنها الدهور

(٤)

... تسمع المذياع
اوتقرأ الجريدة
تغط في الضياع
تجتاحك البرودة
تحس قبضتين تخنقاق
تحس قبضتين
قل ماذا دهاك؟
قم صل ركعتين
وسر ببندقية ...

(٥)

ياأخوتي !
طال أشتياقنا
طال أحتراقنا
طال أنتظارنا
ولـم نـزل نـذوب شـوقـاً
وأحتراقاً
وأنتظاراً
نلتحف العواصف التحافاً
ولن نقرّ قبل
ان تمسك ايدينا رمال يافا

عثمان نصر الله



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين

* إسلامية شهرية تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات والنشر – لندن.

* ثمن العدد:

بريطانيا ١ جنيه استرليني. أوروبا وأمريكا ١.٥٠ جنيه استرليني أو ما يعادلها. مصر ٥٠٠ مليماً. دولة الإمارات ١٠ درهم البحرين ٥٠٠ فلساً. قطر ١٠ ريالات. الكويت ٥٠٠ فلساً. السعودية ١٠ ريالات. اليمن الشمالية ٥ ريالات. اليمن الجنوبية ١٠ شلن. الأردن ٣٠٠ فلساً. سوريا ٥ ل. س. لبنان ٥ ل.ل. العراق ٤٠٠ فلساً. ليبيا ٤٠٠ فلساً. تونس ٥٠٠ مليم. المغرب ٥ درهم. الجزائر ٥٠٠ سنتيم. السودان ٤٠٠ مليماً. عمان ٥٠٠ فلساً.

* الأشتراك السنوي: ١٥ جنيهاً استرلينياً أو ما يعادلها وترسل الأشتراكات الى:

London-Barclays Bank No 20-05-30 Account No 61325671

* المراسلات والأشتراكات على العنوان

B M BOX 27
LONDON
WC 1N 3XX

أو

P.O. BOX 33807
RALEIGH, N.C. 27606, U.S.A.

